القادم على العشاء

وريقات مظلمة

القادم على العشاء

وريقات مظلمة

إسلام سمير عبد الرحمن

تصميم الغلاف: حنان كثيرة

رقم الإيداع: 2017/26489

I.S.B.N:978- 977-6640-09-2

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

نائب المدير : رامي غزالة

شؤون إدارية : رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

إسلام سمير عبد الرحمن

القادم على العشاء

وريقات مظلمة



مقدمة

مجموعة من القصص تدور حول عدة مواضيع يجمعها الترقب والقلق والخوف من مستقبل غير مضمون، تبدأ بشاب يبيع عمره حرفياً من أجل المال في قصة(عرض لا يمكن رفضه)، و تنتهي بسر يكشفه فن (السيكومتري) مروراً بالرجل الذي عاش كفأر بين الحفر لينتهي به الأمر كفأر حقيقي في قصة(الفأر)، والموسيقار الذي باع نفسه للشيطان في قصة (مفيستوفوليس)، والشاعر الذي فرط في ملهمة حقيقية كما تعرفها الأساطير في قصة (الملهمة)، وقصصاً عن الحياة وكيف تدفع من يسير في ركابها إلى إلقاء نفسه في تهلكة التطوع لتجربة علمية جديدة في تجربة(المتطوع).

سيكون هناك الكثير من الخبرات المظلمة التي سنرويها في قصص (المكالمة)حيث سنرى عاقبة العبث مع كيانات (الديب ويب) السفلية، و سنشاهد حفيد أحد سحرة (سالم) و هو يشرح لنا تجربة نقل الحواس في قصة (القادم على العشاء)، و كيف يمكن أن تتحول مواجهتك لمخاوفك إلى أسوء كوابيسك في قصة(المصعد)، و سنتعلم حكمة بديعة: تقول إن فقدان البصر : هو المرحلة التالية لفقدان البصيرة في قصة (كوكب العميان)، وسنستمع إلى قصة الدمية الخرساء مكسورة الذراع على لسان تلميذة صغيرة في قصة(بيت الدمية)، و في قصة(طبق يقدم باردا) سنرى إنتقام أب تعرضت إبنته إلى حادث بشع وسنعرف الكثير عن سبل اللاإنتقام من القتلة في قصة (حارس الأرواح).

الإهداء

إهداء إلى والدي ووالدتي الذين علموني كيف أقرأ الحرف وأخط بالقلم

إلى زوجتي التي تحملت شرودي وعزلتي أثناء كتابتي لتلك المجموعة

إهداء إلى أخي وصديقي الحبيب الأديب د/ إبراهيم السعيد الذي بدونه ما كانت لتخرج تلك المجموعة القصصية إلى النور

و إلي أصدقائي الأدباء الذين أتشرف بمتابعة أعمالهم دوما أ/ محمد رضا عبد الله وأ /عمرو مرزوق وأ/ عمرو المنوفي

إهداء إلى جروب الفزع في كلمات الذي أتشرف بإدارته وإلى فريق صرخ فزع أجمل أصدقاء وشركاء كفاح.

عرض لا يمكن رفضه

أحمد عبد المقصود

دبلوم تجارة

عملت كموظف في سنترال لمدة سنتين...

قال شاب في الخامسة والعشرين من العمر على قدر كبير من النحول تلك العبارات السابقة، وهو يضم قدمية ليخفيهما أسفل مقعده حتى لا يتعرف موظف الموارد البشرية، الذي يجري معه المقابلة على مواضع التشوهات التي حرص على إخفائها بمقدمة فردة حذاءه اليمنى.

كان الموظف مهيباً فاخراً بما يرتديه من ملابس غاية في الفخامة و بتصفيفة شعره الأنيقة، ولكنه كان غاية في التواضع وهو يمتص إرتباكه و يقول :

Be at yourself man-

قالها بإنجليزية ذات لهجة أمريكية فاخرة قبل أن يردف:

- ماذا بك يا (أحمد)، نحن لا نأكل المتقدمين للوظائف إلا بعد الرابعة عصرًا.

إرتبك (أحمد) إلا إنه فهم الدعابة عندما بدأ الموظف يضحك، فضحك مجاملة والموظف يقول:

-تقاريرك الطبية كلها ممتازة، ومبدأياً أنت مقبول لوظيفة مدخل البيانات، أريد أن أعرف منك فقط حدود الراتب الذي تعتقد إنك ستتقاضاه ؟

شعر بعرقه يغرق ظهره وينهمر كالسيل وهو يواجه تلك اللحظة التي يخشاها، فهو يجلس على المقهى كعبئ على والده منذ سنة تقريباً، بعد أن ترك السنترال الذي كان يعمل فيه كالعبد ليلقوا له بالفتات، حاول أن يطبع سيرته الذاتية باللغة العربية والانجليزية وقام بتوزيعها على مختلف الجهات، حاول أن يتقدم لأي عمل بأي دولة عربية بدون فائدة، حتى قامت (شركة السادة الدولية لنظم المعلومات) بالإتصال به علي رقم الموبايل الذي تركه في السيرة الذاتية التي وزعها علي عشرات الجهات وها هو قاب قوسين من الحصول على الوظيفة، فشد قامته و قال الجملة التي تدرب عليها طويلاً :

-أنا أطمح مبدأياً في ألفي.... أقصد ألف وخمسمائة جنيه لأن النقود ليست كل شيء فأنا أريد الحصول على مزيد من الخبرة.

ضحك الموظف لإرتباكه ونزع منظاره ذهبي الإطار ومال إلى الأمام ليقول:

-(أحمد) ... أول مرتب ستتقاضاه معنا هو عشرة ألاف جنيه، فكما قلت لك تقاريرك الطبية ممتازة.

إتسعت عيناه في ذهول وهو يتخيل عدد الأصفار التي يحتويها الرقم

وإنتبه إلى تلك العبارة التي تكررت لثاني مرة فقال في تردد:

-ما علاقة التقارير الطبية بوظيفة مدخل بيانات ؟

برقت عينا الموظف و هو يقول:

-تخيل يا (أحمد) معي، مرتبك سيزيد بمعدل تصاعدي كل ثلاثة أشهر و مدة العقد سنتين قابلة للتجديد، لو حسبت المبلغ الكلي لراتب السنتين مع الحوافز والأرباح سنجد إنه سيصل إلى نصف مليون جنيه، تخيل لو نجحت في السفر للعمل كحارس أمن في أية دولة

عربية، أو استمر عملك بالسنترال أو في الصيدلية التي عملت بها لمدة شهرين في التنظيف والمسح، كم كنت ستنتظر لجمع مبلغ النصف مليون جنية يا (أحمد)؟

ضاقت عيناه وهو يقول في صوت خافت :

-كيف عرفتم بموضوع حارس الأمن وعامل الصيدلية؟ وما طبيعة العمل الذي سيمنحني نصف مليون جنية في سنتين ؟

-نحن نجمع كل المعلومات الممكنة عن من يتقدم للعمل معنا، أنا أقدم لك فرصة يتمناها أي شاب يا (أحمد)، سنتين من العمل لدينا و بالطبع هناك ثمن ستدفعه، و ستوقع على موافقتك على دفع هذا الثمن ،فأنا وأصحاب تلك الشركة، نملك من المال ما تعجز عن تصور كم الأصفار التي تحيط بأرقامه، ولكننا هنا نخسر معركتنا مع عدو لا يمكن هزيمته، هل تعرف ما هو هذا العدو ؟

ولم ينتظر منه إجابة ليقول:

-الزمن يا صديقي، وهذا ما نحتاجه منكم كموظفين شباب، نحتاج إلى سنوات عمركم، ستقضي معنا سنتين هنا وخلال تلك السنتين سيزيد عمرك عشرة سنوات، بمعنى أنك بعد سنتين من الآن سيصبح عمرك خمسة وثلاثين عاماً.

نهض من مقعده في بطء وهو يقول بصوت مرتجف:

-ما الذي تتحدث عنه؟ و كيف يمكن أن أفقد ثمانية سنوات من عمري ؟

-هل تعرف ما هو عمري الحقيقي يا (أحمد) ؟

-لا يزيد عن الخمسة والثلاثين عاماً.

-أنا في الستين من العمر تقريباً، وأحتاج إلى المزيد من العمر، أعتقد أنها صفقة عادلة، سنحصل بطريقتنا على سنوات عمرك مقابل المال، تخيل أنك كنت ستقضي تلك السنوات في تنظيف دورات المياه وحراسة المولات، نصف مليون جنيه مقابل ثمانية سنوات من عمرك، ماذا ترى ؟

خاض صراعاً نفسياً لمدة دقيقتين رأى خلالهما كل الذل الذي مر به و كل الإحباطات التي يخطط له الزمن ليمر بها ورفع عينين ثابتتين إلى الموظف ليقول:

-أين العقود؟ سأوقع فورًا.

الفراشات

شمس يوليو الحارقة، السخية في غير رحمة و تلك الحافلة الحكومية الغير مكيفة التي جعلت من رحلة ركابها جحيماً قصيراً من العرق و الروائح الكريهة، ولكن تلك الرائحة بدت غاية في القبح مما أدى إلى تقلص أنف تلك الراكبة إستبشاعاً. و هي تتطلع إلى جارتها؛ التي إحتضنت جِوالاً متوسط الحجم إلى صدرها في حنان، وهي تتطلع إلى الطريق من النافذة مبتسمة في رضاء كامل عن الكون وإنفصال عن الواقع المتهالك.

كانت تترنم بنغمة أغنية ذات طابع طفولي، بدت شبه مألوفة إلى أذن جارتها، التي حاولت تذكر كلمات الأغنية المراوغة بلا فائدة، وعندما شعرت الراكبة بنظرات جارتها المشمئزة إليها، إبتسمت و مالت نحوها قائلة:

-المختلون كانوا يعتقدون أنه فارقني إلى الأبد وإستغلوا فرصة سقوطي في غيبوبة لمدة يومين بعد الحادثة ليسرقوا إبني مني.

حاولت جارتها أن تفرّ بعينيها بعيداً لكي تقطع عليها فرصة الإسترسال في حديث لا يهمها متابعة رأسه من ذيله، و لكنها كانت مصرة فإستطردت وهي تضحك قائلة :

-أنت مثلهم لا تصدقينني، حسناً كيف يمكنك أن تفسري موضوع الفراشات الملونة ؟

هتفت جارتها في دهشة وعدم فهم:

-فراشات! أية فراشات؟

قالت كلماتها وهي تلتفت إليها لتنتبه إلى أنها تعتصر ورقة بيضاء مجهدة بيدها الملوثة بالعرق...

فضحكت ثانية وهي تقول:

-نعم، الفراشات، (فريد) كان يعشق الفراشات ولا يرسم إلا تلك المخلوقات الملونة الجميلة، وعندما سلموني تلك الورقة متظاهرين بالتعاطف، كنت أعرف إنهم كاذبون سيحترقون في نار جهنم، و لم يخيب إبني رجائي كعادته، حبيبي(فريد) جاءني أمس في حلم جميل مليء بالفراشات، وجدت الفراشات تطير و تنتظر مني أن أتتبعها وبالفعل عندما تتبعتها وجدتها تتجمع هناك ... حيث ينام وتتطلب الأمر مني أن أنتظر حتى يحل المساء؛ لأحطم الحواجز الواهية التي حاولوا بها إبعاده عني وحملته وتركت لهم قطعة الرخام الرديئة التي كتبوا عليها إسمه.

وعندما تحركت لتعدل من وضع الجِوال الذي تحتضنه سقطت من يدها الورقة فالتقطتها جارتها وقبل أن تعيدها لها إنتبهت إلى شيئين؛ أولهما: أن الورقة كانت تحيط بفراشة ملونة جميلة، طارت على الفور، والشيء الثاني: أن الورقة لم تكن ورقة بيضاء فقد حمل وجهها الثاني ختماً رسمياً يعلوه تلك الجملة المشئومة...

شهادة وفاة، أسفلها إسم (فريد ....) وعندما ربطت تلك القصة المبعثرة بتلك الرائحة و رفعت عينيها لتلمح الضحكة الصامتة على شفتي جارتها، و هبطت بعينيها إلى الجوال الذي تحتضنه في حنان بالغ.

صرخت وصرخت و بدا للركاب المذعورين إنها لن تتوقف عن الصراخ إلى الأبد.

المكتبة

(أصدقاء جيدون وكتب جيدة وضمير نائم تلك هي أسس الحياة المثالية.)

كما أقول دائماً، كتب جيدة ... كتب جيدة هي ما أسعى إليه الأن تحت المطر، أعترف لكم إنني مصاب بجنون إقتناء الكتب (بيبلومانيا) وقد إختلط هذا الجنون بمقدرة الكتب الجديدة ذات رائحة أحبار الطباعة النفاذة في مزيج سيميائي سحري، و أصبح لها القدرة إصلاح أي عطب مفاجئ في روحي، في مساء ذلك اليوم المطير في سخاء كنت أشعر بالإختناق، كنت في حالة نفسية سيئة بسبب شجار غير ذي جدوى مع ناشر روايتي الأولى قد يهدد بتوقف مشروع النشر الذي أعلق عليه أمالاً طائلة وبسبب مشاكل مالية معتادة، فنهضت و إرتديت ملابس الخروج الثقيلة، ومعطف المطر وأخبرت زوجتي إنني سأخرج قليلاً، ولمعرفتها الجيدة بي لم تحرق دقائق في محاولات بائسة لإقناعي بعدم النزول إلى الشارع في هذا الجو، إستسلمت في صمت وهبطت إلى أحضان الشوارع الرحيمة مستمتعاً غاية الإستمتاع بخلوها من المارة الذين تجنبوا الهبوط في هذا المطر.

كتب جديدة.... كتب جديدة........

كنت أسير في طريقي إلى مكتبتي المفضلة (كنز المعارف) حيث سأقضي ساعة في التنقل وسط الرفوف بحثاً عن كتاب يعيد السلام

إلى نفسي وإن لم أقرأه، وقبل أن أصل إلى المنعطف القصير الذي يقودني إلى المكتبة فوجئت باللافتة الملونة المضيئة فوق مدخل لمحل صغير

(كتب الأحلام)

توقفت أمام اللافتة طويلاً

أنا أحفظ أماكن كل المكتبات في مدينتي وأعرف كل أماكن تجار الكتب نتيجة لأكثر من ٢٥ عاماً قضيتها كمقتني الكتب والروايات، متى إفتتحوا تلك المكتبة ؟

لقد مررت من هنا منذ إسبوع...

دفعت باب المكتبة فإستقبلتني نسمات دافئة لجهاز تكييف رائع، دخلت وتركت الباب يغُلق خلفي؛ لأجد إنني في أصغر مكتبة رأيتها في حياتي، مساحتها لا تتجاوز المترين عرضاً،والثلاثة أمتار طولاً، مع عدد محدود من الأرفف والكتب، وإستقبلني رجل مسن طيب الملامح صافحني و قال في ود:

-أنا أول زائر لمكتبتنا التي إفتتحناها اليوم فقط.

و شد على يدي وهو يشير إلى الأرفف ليقول:

-نحن نمتاز بمجموعة متفردة من الكتب ستناسب ذوقك بكل تأكيد.

تركني وعاد إلى نشاط ما يمارسه على جهاز حاسبه المحمول.

تحركت نحو الأرفف في فضول لأعرف ما الذي يقصده بالكتب التي ستناسب ذوقي.

صافحت ببصري عناوين الكتب في الرف الأول لأجد عناوينا عادية للغاية لكتب يمكنني أن أجدها في أية مكتبة عادية، وشعرت بالإحباط وكدت أن أتجه للخارج قبل أن أجد صاحب المكتبة يقف خلفي مما جعلني أجفل، فضحك ليقول:

-أنت لم تؤمن بما قلته لك بعد ؟ مكتبتنا من طراز خاص ، يجب أن تقتنع بالفكرة أولاً، اسم المكتبة (كتب الأحلام) ولكنك يجب أن تقتنع أولاً ... لن تخسر شيئاً ... خض التجربة...

إبتعد عني وتركني أرمقه وقد تيقنت من إختلال قواه العقلية، و لكن لا بأس، بالفعل لن أخسر شيئاً، أغلقت عيني وأنا أفكر في أجمل أمنية يمكنني أن أتمناها، وفتحت عينيّ

نظرت إلى الأرفف من جديد...

ووجدت رواية ذات غلاف مصقول أنيق، كعبها مكتوب عليه العنوان (البلدة الملعونة) .. هل سرقوا إسم روايتي؟ وتحركت عيني إلى إسم المؤلف لأجد إسمي مكتوبا عليها، رمقت إسمي في ذهول وأخرجت الرواية من مكانها لأشهق عندما، وجدت على الغلاف الغاية ف الاحترافية جملة (الطبعة العشرون)

و هنا تحركت إلى الرواية التالية في الرف لأجد رواية (كفر العرجان) و إسمي عليها أيضاً، الرواية تحمل عبارة الطبعة السابعة عشر، هذا العنوان لا يزال مجرد فكرة في ذهني، ما الذي يحدث؟ تفقدت الروايات التالية

(جبل المنبوذين)

(أسفار النهايات)

(همسات الشياطين)

كل أفكاري التي سجلتها في مفكرتي كأحلام لرواياتي المستقبلية مصفوفة أمامي كواقع ملموس.

وهنا لمحت هذا التقويم المعلق على الحائط، تحركت نحوه في حذر وإتسعت عيناي في غير تصديق عندما وجدته يشير إلى عام 2030

هنا تحركت نحو مكتب صاحب المكتبة، فلم أجده، تلفتت حولي وأنا أشعر بحيرة بالغة، لمحت ظله يتحرك خارج باب المكتبة الزجاجي، فخرجت سريعاً في أثره، فوجدت أنه يبتعد نحو أضواء الشارع الرئيسي، وعندما وصلت لبداية الشارع لم أجده، فعدت إدراجي إلى الممر الجانبي ورجعت إلى المكتبة، ووقفت طويلاً تحت المطر في عدم فهم وأنا أحدق في باب معدني لمحل صغير مهجور تتخذ مدخله عائلة من القطط كمنزل لها.

عملية روتينية

الأمركان روتينياً للغاية فلقد جمعت كما هي العادة كل المعلومات التي يمكن جمعها عن (مراد يزبك)، أكبر تاجر سلاح في المنطقة، وعرفت عنه كل ما يهمني وما يفيدني في إنجاز المهمة، عرفت عنه عشقه للسهر ؛ ليلة كل خميس في (ملهى هونولولو) الليلي حيث يحيط بمائدته حرسه الشخصي الأشداء الذين يحملون أسلحة ألية سريعة الطلقات مرخصة، مستعدين للفتك بكل من يحاول أن يمسه بسوء، يتناول المشويات ويحتسي ربع زجاجة من ويسكي (بلاك ليبول) وتجالسه الراقصة (سوزانا) بعد أن تؤدي فقرتها خصيصاً من أجله مقابل رزمة ضخمة من الدولارات ينثرها حولها وهي تؤدي فقرتها كل إسبوع، قلت أن الأمركان روتينياً للغاية فلقد دخلت إلى الملهى كعميل عادي وقمت بإختيار منضدة في ركن بعيد وإنتظرت...

وجبة العشاء يتم إعدادها قبل قدوم (مراد) بربع ساعة لتكون في إنتظاره مع قدومه، تسللت إلى الممر المفضي إلى المطبخ ودخلت إلى دورة المياه لأنزع سترتي وأرتدي سترة مشابهة لسترات السقاة في صالة الملهى - كنت قد أخفيتها في كيس بلاستيكي داخل صندوق طرد منذ الليلة السابقة - وتحركت سريعاً لأختلط بالسقاة، إنتظرت في صبر حتى وضع أحد السقاة أطباق الطعام الخاصة بهدفي على مائدته الخاصة، وأمام عيون الحرس المدققة تذوق الساقي عينات من كل أطباق الطعام؛ ليطمئن الحرس على سلامته وهنا تحركت بإحترافية وتقدمت نحو المائدة وفتحت زجاجة الويسكي وسكبت قليلاً منها في

كأس لأشربها أمام الحرس وعندما إطمئنوا، أغلقت الزجاجة ووضعتها في الإناء المليء بالثلج الخاص بها، ومع وضعي للزجاجة كان هناك أنبوبة دقيقة مخفيه أسفل ساعتي مرتبطه برشاش صغير تنثر طبقة دقيقة من رزاز سم زعاف على كل الأطباق، ومع تحركي للخلف بظهري بأدب شديد، سمعت ضحكات (مراد) المرتفعة تسبقه و هو يعبر باب الملهى محاطاً بحرسه وبصحبته طفل صغير في السادسة من العمر وهو يصيح بمرح :

surprise-

الليلة عيد ميلاد (طارق) إبني وسنحتفل به معاً، صفق الجميع مجاملين وإستقر هو على مائدته مع الطفل ذي الملامح الجميلة.

تراجعت إلى الخلف في ذعر، شعرت به لأول مرة في حياتي ، هدفي شخص قذر و مسئول عن إراقة الدماء في ثلاث دول على الأقل ولكن ليس للأطفال دخل في ما يحدث، كمحترف يمكنني أن أريق دماء عشرات الأشخاص مقابل تحويل دولاري ضخم؛ كالذي أودعه عميلي في حسابي للتخلص من هدفي، ولكن أنا أب في النهاية ولدي طفلان في سن مقارب ل (طارق)، ولهذا كان يجب أن يتم إجهاض المهمة، تحركت سريعاً وكسرت زجاج صفارة إنذار الحريق و ضغطت الزر.

الملهمة

قضيتنا لا تنحصر في التساؤل عن هل (كريم) كان يعرف أن (ريتا توفيق) كانت من (الميوزات) أم لا ؟ ولن نناقش أيضاً سبب تختلفه عن موعده الذي حدده مع والدها ليتقدم لخطبتها رسمياً ؟

لقد إنتهى الأمر وتخطت (ريتا) الصدمة، ولم تعد تفكر في (كريم) نهائياً. إلتقى بها (كريم) أول مرة في حفل موسيقى بالكلية، كانت أمهر عازفة (جيتار) رأها في حياته،ظل يستمع إلى عزفها وهو غاية في التركيز ، كانت تعزف أغلب الوقت مغمضة العينين وهي ترسم على شفتيها إبتسامة حالمة، وكأنها تتلقى الوحي من السماء، عزفها في تلك الحفلة غسله من كل أحزانه، وشعر معها إنه يحلق في السماء، كان يمر بفترة سيئة من حياته كشاعر نصف محترف، ديوانه الأول تعثر تماماً وعزف عنه الناشرون، وعرف من صديق له ميعاد الحفل وعندما رفض حضوره، أصرّ صديقه على إصطحابه عله يخرج من حالة الإكتئاب التي يمر بها، يومها أصرّ أن يتحدث معها بعد الحفل، شكرها لأن عزفها جعله يخرج من حالته، إلتقى بها بعد ذلك عدة مرات وعرف إن والدها هو الذي منحها إسم (ريتا) وهو إختصار (مارجريتا) الذي يعني اللؤلؤة باللاتينية، مع (ريتا) عرف كل معاني السعادة، قالت له ضاحكة ذات يوم:

-إن زميلتها يطلقن عليها إلهة البهجة عند قدماء المصريين.

معها تدفق الإلهام إلى ذهنه ووجد نفسه يكتب ويكتب بدون إنقطاع، حتى إنه أعاد صياغة ديوانه الأول بالكامل، ورحبت به دار

نشر كبيرة كان يخشى مجرد المرور من أمامها، يومها إحتضن كفيها بين يديه ومال نحوها ليقول:

-أحبك يا ملهمتي ويجب أن نرتبط فلم أستطع كتابة الشعر إلا بقربك ، وقتها قالت له وهي تبتسم لتغمر السعادة الكون:

-أنا في منتهى الهشاشة، هل تعرف تلك القصيدة ل (زكي عمر)

مكانتش تحب اللون الباهت

مكانتش تحب المية الفاترة

كانت لما بتكره.... تكره موت

و اما تحب .... تحب صبابة

واما بتحزن ... تبقى ربابة

واما بتفرح

يبقى الفرح على البوابة

كانت زي الشمس وكانت

لما بتغضب ... تبقى مهابة

كان يقصدني بها بالتأكيد، لقد تعلقت بك فلا تخذلني، أصبحت أحبك جداً.

مال نحوها وقال:

- أنت حبيبتي وملهمتي وستصبحين أم أولادي...

متى تبدل بهما الحال ؟

قد يكون بعد ديوان (كريم) الثالث والشهرة التي حققها. هل أصابه الغرور؟

هل تعرف بفتاة أخرى؟

هل لم ينتبه حتى الأن أنه لا يستطيع الكتابة إلا بالقرب من(ريتا) وخاصة عندما تكون سعيدة ؟

لن نستطيع إلا أن نخمن. ولكنها بدأت تشعر بتغيره وبتسويفه لميعاد مقابلته لوالدها ، فوضعته على المحك وحددت الميعاد وطلبت منه أن يحضر...

ليلتها كانت متألقة كلؤلؤة

حسناء كزهرة

رقيقة كالملائكة

ولكنه طعنها ف العمق

كسرها بدون رحمة ولم يحضر

تقوقعت حول نفسها وكرهته وقررت أن لا تفكر فيه مرة أخرى، كانت تعرف إنها من (الميوزات) [1]وتعرف ان العقاب سيصل إليه أينما كان...

بعد أيام من قرارة بإنهاء علاقته ب (ريتا) فوجئ كالمصعوق إنه أصبح لا يستطيع أن يخط بيت شعر ذا قيمة، تصور لبعض الوقت إنها سدة كتابة من التي يعاني منها الشعراء أحياناً، حاول بعد أيام، مزق أطناناً من الورق في غير رضاً عن ما يكتبه حتى كاد أن يجن، بكى وأدمن الخمر عندما شعر أن موهبته قد تبخرت، هل يعاقبه الله لتخليه عنها؟

هل كانت مصدر إلهامه بالفعل...

---

[1]الميوزات هم ربات الإلهام أو حوريات الإلهام حسب الميثولوجيا اليونانية

توقف طويلاً أمام هذا السؤال وجلس ليخط حروف إسمها على الورق

(ريتا توفيق)

(ريتا تو)....

وتذكر الإسم على الفور وتأكد من الأمر عندما بحث في الموسوعات على شبكة الإنترنت...

(إيراتو) ربة الإلهام للشعر الغزلي في الميثولوجيا اليونانية، عازفة القيثار، لقد كانت ملهمته التي ألقاها الله في طريقه، ولكنه لم يصنها، بكى وهو يحاول الإعتذار لها ولكنها أغلقت هاتفها وصوتها يتردد في ذهنه:

كانت لما بتكره..... تكره موت

واما تحب .... تحب صبابة

واما بتحزن .... تبقى ربابة

و اما بتفرح

يبقى الفرح على البوابة

كانت زي الشمس وكانت

لما بتغضب تبقى مهابة.

القصر المسكون

أراك تحدق فيّ بدهشة. تقول إنك لم تر من قبل غراباً أبيض، و كيف لمن رأى ما رأيت من أهوال أن يظل محتفظاً بسواد ريشه ؟

قصر (رستم باشا) وتلك المذبحة التي حدثت في تلك الليلة، كان ثأراً قديماً بين إبن (رستم باشا) الأكبر وبين عائلة (الخدادشة)، كانت الحادثة الأولى عبارة عن قتل على سبيل الخطأ إثناء رحلة صيد، قام (رستم باشا) بدفع ديّة ضخمة في مجلس صلح كبير، إنقسمت بعده عائلة(الخدادشة) إلى نصفين، نصف قبِل بالديّة والصلح، وقسم آخر لم يقبل، وظل أفراده متربصين لإبن الباشا الذي علم بتدبيرهم فعين حراسة لا يستهان بها، وأمر إبنه الأكبر أن لا يغادر القصر حتى يتم حسم تلك المشكلة،حتى كانت تلك الليلة التي هاجموا فيها القصر بالإستعانة بالمطاريد. كانت ليلة عيد ميلاد إبنة وإبن الباشا (ميرفت) و (مراد) التوأم والقصر قد تحول لجنة من الأضواء، وقد أمر الباشا بإعداد كعكة عيد ميلاد من إثني عشر طابق للإحتفال بعيد ميلاد التوأم الثاني عشر، وعندما أطفئوا الأنوار لإطفاء الشموع بدأ الهجوم. كان عدد المهاجمين أكبر من طاقة رجال الحراسة، الذين تم جندلتهم بالمقاريط، قبل أن يقتحموا القصر، ظلت الصرخات تتردد لساعة كاملة وهم يذبحون بالسلاح الأبيض كل عائلة الباشا الذي شاهدهم يذبحون إبنه الأكبر وزوجته وكل أقاربه، وبكى وصرخ عندما أمسكوا بالتوأمين،صرخ وطلب لهما الرحمة، وقال لهم إن ثروته كلها ستكون

ملكهم، ولكن الأوغاد تملكتهم شهوة الدم وذبحوا الطفلين بلا رحمة، وعندما قادوا الباشا ليشنقوه على بوابة القصر نظر لهم نظره لم أنسها وإستسلم لمصيره بدون مقاومة. لقد اختفت جثة الباشا ليلتها، ولن أستطيع أن أخبرك كيف إختفت حتى لا يقتلني. أهالي القرى يتحدثون عن شبح الباشا الذي يظهر كلما نضحت جدران القصر الخارجية بالدماء، ويقولون:

-إنه يسير في الحقول المظلمه بملابسه الممزقة، وحذائه البالي حاملاً بلطة عملاقة، لا تصدق كل ما تسمعه، كل ما يمكنني أن أقوله أن الأرض التي ارتوت بدم الأبرياء لا تنسى، و إن القصر يعتبر دم المظلوم ديناً مؤجلاً يتم تسديده على دفعات، ومنذ سنوات عديدة قد وعت عائلة (الخدادشة) الدرس، ومع إختفاء أي من أفرادهم لا يقومون بإبلاغ الشرطة، بل يدخلون إلى القصر لجمع أشلائه من كل أنحاءه.


المكالمة

كما هو الحال دائماً تحولت جلسة المذاكرة الجماعية إلى مجلس (هلس) كما يحلو ل (ياسر) أن يطلق عليه ضاحكاً، قضى الثلاث أصدقاء ساعتين في إحتساء البيرة المثلجة وتدخين السجائر المحشوة، (حمدي) كان مطرب الجامعة، وإختلاط البيرة مع أنفاس الحشيش كان لهم فعل السحر معه، بدأ يغني لهم مقاطع كاملة من السيرة الهلالية بصوت مشروخ متألم.

لماذا السيرة الهلالية بالذات ؟

هذا السؤال وجهه (أحمد) إلى (ياسر) وهو يضحك، فأشار (ياسر) إلى قطع المخدر المعدة للخلط ليقول:

-"طلبت معاه كده..."

قالها ليضحك مع (أحمد) على (حمدي) الذي كان منفصلاً عن الواقع وقد بدا عليه التأثر وهو يردد:

راجل فتوه عربان

غندور فيه الكفايه

ولا يوم فيه العاربان

غندور نعم الربايه

منع (ياسر) الضحك بالكاد ونهض قائلاً:

"-سأذهب لشراء نصف دستة بيرة إضافية، فالسيرة الهلالية تحتاج إلى مزيد من الكحول"

بدأ (أحمد) في لف إحترافي لسيجارة أخرى وهو يقول في صوت بطيء النبرات:

"-إستمر يا عم (حمدي) لا تحرم نفسك، عيش .....وعكنن على اللي خلفونا"

وهنا صدرت نغمة أجنبية مميزة لرنة هاتف (ياسر) المحمول فرفع (أحمد) الهاتف وضغط زر الإستجابة...

-"ألوووووو"

جاوبه الصمت مع أنفاس لاهثة جشعة...

-" ألووووووووو"

صوت متحشرج يقول:

-" هل أنا أتحدث إلى (ياسر) ؟"

ضحك (أحمد) بدون سبب وهو يقول بلسان ملتوي:

-"أنا (ياسر) من يتحدث؟ المرحوم (عباس فارس) ....؟"

أعجبته مزحته فانفجر ضاحكاً قبل أن يأتيه صوت حشرجة قوية مع صوت فحيح غاضب إكتسح طبلة أذنه :

-"من لعب بالنار يستحق أن يحترق بها، لقد طلبت حضوره وسيتتبعك ...إنتظره خلال دقائق"

أغلق المتحدث الإتصال وظل (أحمد) محدقاً في الهاتف وجاءه صوت طرقات (ياسر) على الباب فقام ليسمح له بالدخول

إستغرق منه نسيان الأمر علبة بيرة كاملة و(ياسر) يقول:

-"بالأمس كنت مع (جاسر) الذي عثر في موقع من مواقع الإنترنت العميق (Deep Web)على تطبيق يتيح لك تسخير كيانات سفلية ما يزعموا إنها تسكن مجاهل شبكة الإنترنت العميق. "

قالها و ضحك ليكمل :

-"هل تعتقد في تلك الخرافات؟ كيانات تحتل شبكة الإنترنت ... هل يوجد سخف أكثر من هذا؟ "

-"وماذا فعلت ؟"

-" تحداني (جاسر) أن أثبت له عدم خوفي وطلب مني ترديد تعويذة الإستدعاء أمامه في مكبر الصوت ليرسلها كملف صوتي إلى الموقع، وطلب مني ترك رقم هاتفي المحمول أيضاً، فهذا الكيان له حارس ما سيتصل بالرقم ليمهد لي اللقاء به"

هنا شعر (أحمد) أن كل أنفاس السم الذي سحبها لرئتيه وكل لترات الكحول التي إختلطت بدمه، قد تبخرت وهو يهب من مقعده صارخاً:

"-يا ليلة سودا ..... لقد جاءتك مكالمة وقمت بالرد وأخبرت المتصل إنني أنت، عندما سألني من أنا"

نهض (ياسر) من مقعده كالمصعوق ليهتف:

-"(أحمد) لا داعي لتلك الدعابات المستهلكة، لقد صرفت أموالا طائلة حتى الأن لأصل برأسي إلي تلك الحالة من الإتزان"

-"بقولك قلت له تحت تأثير المخدر إنني (ياسر) وتحدث بصوت غير أدمي عن زيارة مرتقبة خلال دقائق"

تلفت (ياسر) حوله ليقول : - تبعاً لما يقوله الموقع الملعون سيصل هذا الكيان عبر شبكة الإنترنت، يجب أن نغلق (الراوتر) لمنع إشارات (الواي فاي)، هيا بسرعة

تحرك (أحمد) بسرعة نحو باب غرفة المكتب وهو يصيح:

-" سأغلقه فورا ..... لعنة الله عليك"

عندما فتح الباب كان ما لمحوه يتدفق عبر هوائي جهاز (الراوتر) إلي فراغ الغرفة من الشناعة بما يكفي ليغلقا الغرفة ويصرخا و قد تلفت كل صمامات التعقل لديهما

كان صراخهما يتردد وتلك القوة الغاشمة ترج باب الغرفة رجاً

ولا يزال حمدي يترنم مغلق العينين:

نادت الأصيلة آه يا با

حرة وصاحبه أمانة

الراجل ده وعربه اللي وياه

تدعيه يشرب قهوة حدانا

أسطورتك الذاتية

و هل تعتقد أن دربك سيكون مملوءاً بالورود ؟

هل تعتقد إنهم سيحكون لأحفادهم ملحمتك بجوار المدافئ ليلاً فتتسع عيونهم البريئة إنبهاراً، دون أن تثبت إنك لا تقل عن أبطال الأساطير بأسا وشدة ؟

لا يا صديقي لسنا في عصر المعجزات هنا، يجب أنت تصنع أسطورتك الذاتية، ويجب أن تطيع حواسك وتنطلق نحو تغريبتك الخاصة، فهي تنتظرك هناك.

على أقصى إمتداد لبصرك ستلمح تلك الأضواء، هل تراها ؟

تلك الأضواء هي هدفك الذي ستسعى إليه، أعرف أن هناك عشرات المخاطر والعوائق تنتظرك في الطريق، وأن هناك صوتاً يهمس في أذنك أن لا تطيعني وتظل شخصاً عادياً تسير وسط الجموع، ذلك الصوت يعزف على أوتار غريزة البقاء بداخلك، ولكنها - كما قلت لك من قبل- تنتظرك هناك، تخيل مدى قلقها الممزوج بشوق جارف إليك، وتخيل وقوفها كل ليلة في الشرفة لتشعل شمعة و تقف في إنتظار قدومك ، هل لا زلت تذكر (بنيلوبي) وإنتظارها ل (أوديسوس) بدون يأس ؟

هل لا زلت تذكر نظرة عينيها وإنفراجة شفتيها المرتجفة بحروف إسمك ؟

هل ما زال صوتها يتردد في أذنيك وهي تخبرك بأنها ستنتظرك مهما طال الزمن حتى تلتقي بها كبطل ؟

نعم يا صديقي فكل أنثى تعتبر رجلها هو بطل الأبطال ويستحيل أن تطيع به الوشاة، فلقد حدثوها طويلاً عنك، وقالوا لها إنك ستخذلها ولكنها لم تصدقهم، قالوا لها: إنه سيستسلم بعدما يقف حائراً بدون أن يحسم أمره، فهل ستتركها للندم بعد إيمانها العميق بك وبحبك لها؟

هل ستجعل سنوات إنتظارها بدون فائدة ؟

لقد فرغت من حديثي يا صديقي والأمر بيدك الآن.

قصتين

كانت تنتظره و هي تحمل صغيرهما الذي يكاد لا تظهر معالمه، وهي تضمه إلى صدرها و قد أحاطته بلفافه ممزقة قد حال لونها لتمنحه دفئاً لم يكفه فتعالى بكاؤه لتضمه أكثر، رأته قادماً يمشي بخطوات بطيئة وقد بدا شاحب الوجه أكثر من المعتاد، هز رأسه وهو يسير أمامها لتتبعه في صعوده درجات السلم المفضي إلى تلك العيادة الطبية الفاخرة، كانت تشعر بالقلق من نظرته الثابتة وملامحه المتجمدة، فمالت نحوه لتهمس : ماذا بك يا أبا (محمود) ؟ بالله عليك تحدث، هل لم تستطع جمع المبلغ بالكامل؟

إلتقط نظراته بعينيها لتجد بها شيئاً مختلفاً، هناك شيء مفقود بعيني زوجها، تلك النظرة الجامدة التي سكنت حدقتيه لم تكن موجودة هذا الصباح، إكتفى بتربيته سريعة على كفها الهزيلة ولزم الصمت.

تقدمت منهما الممرضة المتأنقة في غير إسراف ولم تتحدث، إكتفت بنقل بصرها بين وجهيهما وبين الطفل الذي بدأ يبكي بكاءً متقطعاً ضعيفاً، فأخرج رزمة مالية منتفخة ملوثة بالعرق ليضعها على المكتب أمام الممرضة، التي تفحصتها ببصرها لتقول في ألية:

-هل المبلغ كامل ؟

خفض رأسه في ذل وقال:

-غداً بعد إجراء العملية سأكمل المبلغ للطبيب حفظه لنا الله.

حملت الرزمة بأطراف أصابعها وكأنها تحمل فأراً ميتاً وغادرتهم قائلة في برود ثلجي : الطفل يكون غداً في المستشفى في تمام التاسعة صباحاً.

مع إنصرافهم وجدته يقودها نحو موقف الحافلات فطفرت دموعها و هي تقول : أين سيارة الأجرة؟

مط شفتيه ليقول :

-لقد بعتها.

***

كنت مستلقياً على ظهري أتألم، كمية المسكنات التي يحقنونها بقارورات المحاليل المعلقة على حاملها بجوار فراشي - والمثبتة إلى أوردتي بأنبوبها البلاستيكي الملتف حول نفسه كالثعبان- لا تكفي لكبح جماح قطار الألم الذي يكاد يقتلني، زوجتي تحتضن كفي وتضغط عليها محاولة أن تبتسم وهي تهمس في أذني:

-الحمد لله، قدر الله ولطف.

قمت بهز رأسي يميناً و يساراً وأنا أتطلع إلى السماء الصافية التي بدت في أفضل حالاتها عبر زجاج نافذة حجرتي في المستشفى، شقيقي الأصغر منفلت الأعصاب يضرب كفاً بكف ليقول في غيظ:

-كيف لم يلتقط أي منهم رقم السيارة التي صدمتك ؟

همست بين موجة ألم و أخرى:

-تركني ملقىً أرضاً وأسرع هارباً.

لازلت أذكر نظرته المذعورة الغير مصدقة للكارثة التي تسبب فيها بشروده، سمعت صيحات التحذير وصوت إحتكاك إطارات السيارة بالأسفلت، وإلتفتت إلى الخلف لأجد الهول المندفع نحوي على أربعة

عجلات، تلك الضربة الوحشية التي تلقتها فقراتي القطنية لأطير في الهواء قبل أن أسقط أرضاً، محاولاتي الفاشلة للنهوض على قدمي محاولاً التظاهر بإن ما جرى لم يكن، صرخاتي المتألمة عجزي عن الوقوف، كان السائق يحاول أن يعاونني على النهوض وقد تحول إلى شبح إنسان، يهمس في أذني محاولاً أن يشرح قصة مفككة عن طفل مريض بمرض قاتل ولا نجاة له إلا بعملية جراحية خطيرة، أشرت له لينقلني بسيارته للمستشفى مع وعد بأنني لن أذكر إسمه في التحقيق حاول الأطباء أن يطمئنونني، ولكني عرفت أن إصابتي ستلزمني الفراش لثلاثة أشهر على الأقل مع أمل في جلسات علاج طبيعي قد تجعلني أمشي طبيعيا بعد حين.

زارني مرتين مقبلاً رأسي في شكر وعرفان لأنني لم أبلغ عنه في المحضر الرسمي...

ستسألني لماذا لم أذكر رقم سيارته في المحضر الرسمي؟

أقسم لك إنني لا أعرف، قد تكون تلك النظرة التي رأيتها في عينيه بعدما صدمني، تلك النظرة الذليلة العاجزة وقد تكون لهجته عندما تحدث عن طفله المريض وقد إستشعرت بها الصدق. ولكنني كنت لا أطيق النظر إلى وجهه الذي يحمل ذنب الدنيا مما جعل شقيقي يشك في الأمر، ولكنني حسمت الأمر وطلبت منه عدم المجيء مرة أخرى.

القادم على العشاء

لم يكن (إميل) يوما شخصاً إجتماعياً، كان يصف نفسه دوماً بأنه نسر وحيد على أعلى أشجار المدينة، ولهذا إختار تلك البناية التي تأكد قبل أن يؤجر شقة بها أن سكانها ينتمي أغلبهم إلى فئة المسنين بلا أولاد، شقة صغيرة مشمسة خالية من الرطوبة والحشرات، بدأ ينقل متاعه القليل وكتبه الكثيرة ولاحظ أن هناك ساكناً جديداً بدأ ينقل متاعه إلى الشقة التي تشاركه نفس الطابق، رجل مسن ذو ملامح طيبة للغاية يشبه لوجو مطاعم الدجاج الشهيرة، وشعر بالأسى وهو يشاهد الرجل ينقل شابين معاقيين من السيارة إلى مقاعد متحركة ويدفعهم إلى البناية، و تحرك سريعاً ليعرض على الرجل أن يدفع أحد المقعدين، شكره الرجل بإبتسامة عرفان ومال نحوه ليقول :

-ليس لدي سواهما وقد ولدتهم أمهم معاقين نتيجة لخلل وراثي، و كنت قد فقدت شقيقهما في حادث لعين.

ربت كتفه في تعاطف ودفع المقعد حتى باب الشقة عبر المصعد، رأى الشابين المراهقين ينظران له في تفحص بطريقة غريبة ومال نحوه والدهما ليقول:

-هل أنت بمفردك أم مسئول عن أسرة ؟

و عندما عرف أنه نسر وحيد أصر كالجحيم على دعوته على الغذاء، تعاطفه معه ومع حالة أبناءه منعه من الرفض.

ولذلك تجده وقت الغذاء يطرق باب شقته حاملاً زجاجة ويسكي على سبيل المجاملة، فتح له الباب واستقبله مرحباً، عرف أن اسمه (مارتن كوري)، عائلة صغيرة تعيش في الظلال، شعر (إيميل) أنه بدأ يخرج من ميله الوحدة، وخاصة عندما بدأ يستنشق رائحة الطعام قادمة من المطبخ تشى بوجبة دسمة قادمة، قد تعوضه عن طعام العزوبية ولو قليلاً، قاده (مارتن) للجلوس على مقعد بصدر المائدة وعن يمينه وعن يساره جلس المراهقين على مقعديهما المتحركين وقام والدهما بتشغيل مقطوعة موسيقية تبعث على الشجن. بدأ في وضع أطباق الطعام، وجلس على مقعد مواجهة له ليقول: - موسيقى شعبية من (جامايكا) تبعث على هدوء الاعصاب، لقد سعدت جداً عندما عرفت إنك بدون أسرة و يسعدني أن تعتبرني مثل والدك.

بدأ تناول الطعام الذي كان معظمه من لحم شهي الطعم، لم يثر ضيقه إلا نظرة الأخين المتفحصة التي أخذا يرمقانه بها أثناء الطعام ، الطعام شهي للغاية و مليء بالتوابل...

-إسمي بالكامل (مارتن جيليس كورى) هل سمعت من قبل عن (جليس كوري (Giles Cory) ؟

لم يعط له الاسم أي دلالة، فمط شفتيه علامة عن الجهل، فابتسم وهو يقول:

-(جليس كوري) جدي الأكبر، كان من الذين تمت محاكمتهم في (سالم) ب (ماساشوستس) عام 1692.

صمت (إيميل) وتوقف عن المضغ وهو يقول :

-جدك الأكبر كان من السحرة الذين أحرقوهم في (سالم) ؟

لوح بكفه نافياً في كبرياء وقال:

-لا لم يحرقوه ، لقد هلك تحت وزن حجر ضخم وضعوه على صدره في طقوس الإستجواب[1]

---

[1] المعلومات المذكورة عن (جليس كوري) صحيحة بالكامل

تحول الطعام إلى قطعة صخر في معدته و شعر بالشؤم لهذا التصريح العجيب. فابتسم مجاملاً وهو ينهض ليقول:

-وجبة طيبة يا سيد (مارتن) أشكرك للغاية ف.....

وقطع عبارته عندما لم يتمكن من النهوض، حاول مرة أخرى ليستسلم وينظر إلى البسمة العجيبة التي ارتسمت على وجهي الأخين وقال بصوت مرتجف:

-ماذا حدث لي؟هل وضعت لي سماً ف الطعام ؟

نهض (مارتن) بنفس الإبتسامة الودود ليقول :

-لا مجال للسم هنا، نحن لسنا بالقتلة.

قال عبارته ليرفع أطباق الطعام ويرفع غطاء المائدة، رأى (إميل) تلك الرسومات العجيبة التي كانت مختفية أسفل الغطاء وبدأ في توزيع عدد من الشموع السوداء على أماكن محددة وسط الرسوم العجيبة...

(إميل)كان يشعر بالخدر يسري إلى جسده كله و(مارتن) يقول:

-لقد ورثت السحر عن أبي الذي ورثه عن جدي وهكذا، وكما قلت لك فقدت إبني الأكبر في حادث سيارة بشع وأنت ترى حالة أبنائي

بدأ يشعل الشموع ويترنم بأنشودة عجيبة بدت مشابهة للأغنية المتدفقة من مشغل الإسطوانات، وعي (إميل) يتسرب و هو يقول:

-هل ستقتلني ؟

بدأ التأثر علي وجه (مارتن) وهو يقول:

-قلت لك أنا لست بقاتل. تلك العملية نطلق عليها (نقل الحواس)، سأنقل قدرتك على المشي إلى (ستيف) وقدرتك على الكلام إلى (جون)

بدت همهمة إعتراض من جهة أحد الأخين ،فمال نحوه(مارتن) ليقول مواسياً:

-(جون) لقد وعدت (ستيف) بالمشي وسيظل أبكماً لا يستطيع الحديث، في حين سنستمتع معاً بالحديث، حتى نجد جاراً جديداً ونقوم بعملية عكسية. وإلتفت إلى (إميل) ليقول مبتسماً:

-المراهقون لا يقنعون إلا بإمتلاك كل شيء، وضحك مواصلاً ترديد الأنشودة حاول (إميل) الإعتراض، ولكنه لم يتمكن إلا من إطلاق همهمة مختلطة ليست ذات معنى.

المصعد

(إدراكك الكامل بأن هناك مشكلة هو أول الطريق الذهبي لحلها)

وهو أدرك جيداً أن هناك مشكلة ما ولن يستسلم كما كان يفعل طيلة العام الماضي، ظهور (رنا) في حياته، جعل منه شخصاً أفضل مقبلاً على الحياة، ولذلك بدأ ينتظم في عمله الذي أهمله وبدأ يعتني بمظهره وبحلاقة ذقنه كل صباح، قبل الذهاب إلى مكتب التصميمات، وبدأ يتناول علاجه بإنتظام وأصبح هناك هدف يعيش من أجله ويحب الحياة من أجله.

هذا الصباح إستيفظ مبكراً بالرغم من أنه يوم عطلة المكتب الذي يعمل به، فلقد إنتظمت ساعات يومه منذ توقف عن تعاطي المخدرات، وقطع علاقة الصداقة التي كانت تربطه ب (جاسر) طيلة العام الذي تدهورت فيه حالته الصحية، (جاسر) الذي يمكن وضع صورته في المعجم بجوار جملة (صديق السوء)، لقد تعرف به عندما كان في أوهن حالاته النفسية بعد أن فقد والديه في تلك الحادثة البشعة، عرفه (جاسر) على كل مفردات عالم الظلام التي لم يكن يستطيع التعامل معها بحكم نشأته المتحفظة، وطبيعته المنطوية، عرف عن طريقه طريق كل أنواع المخدرات والخمور وقاده إلى أحضان الدنس في تلك الأوكار الخفية، وعندما عرف (رنا) قرر أن يقاطعه تماماً، وقتها تطلع إليه في ذهول ولم يستوعب أنه يبتعد عنه، حاول أن يقنعه بالعودة إلى عالم الظلام والقوة كما كان يحلو له أن يطلق عليه، ولكنه صمد وصمم أن يستعيد نفسه وأن يتغلب على تلك

الصحبة المدمرة. ولكن (جاسر) لم ييأس، وتحولت محاولاته المستعطفة إلى تهديدات مباشرة بالقتل إذا لم يعد لصداقته مرة أخرى، مما دفعه إلى تغيير رقم هاتفه المحمول وتغيير مسكنه، ولكنه يعرفه جيداً و يعرف مدى علاقاته وبطشه وكان يثق أنه سيصل إليه يوماً ما، وعندما جلس بجوار كوب النيسكافية بلاك أمام شاشة حاسبه النقال؛ ليعمل على الإنتهاء من تلك اللافتة الإعلامية التي بدأ بها أمس، تذكر إنه لم يتناول علاجه منذ الأمس، نهض في ذعر ليبحث عن علبة الأقراص وفتح غطائها ليجدها فارغة، ضرب جبهته بكفه المفتوح هو يهتف: - خطأ كهذا يمكن أن يكلفك حياتك.

إرتدى ملابسه كيفما اتفق، وقرر أن يذهب لشراء علبة أقراص جديدة من أقرب صيدلية ، و ضغط زر إستدعاء المصعد، و مع هبوطه من الطابق العشرين وجد أن هناك من يستدعيه في الطابق الرابع عشر، زفر في ملل مع توقف المصعد وعندما فتح الباب ألياً، إتسعت عيناه في ذعر عندما وجد نفسه أمامه، وجد (جاسر) يدخل محتلاً أغلب فراغ المصعد بجسده الذي يبلغ ضعف حجمه وبمجرد دخوله ضرب صف الأزرار بكفه الضخمة ليتوقف المصعد بعد أن بدأ هبوطه بين الطابقين الرابع عشر والثالث عشر، كان مطلق اللحية و قد ترك أزرار قميصه مفتوحة لكي يطل منها غابة من الشعر الأسود الغزير، حاول أن يتراجع وهو يحمي وجهه، فزمجر (جاسر) وهو يقول بصوته الغليظ :

-كنت تعتقد إنني لن أصل إليك أيها الساذج ؟

بدأ يرتجف وهو يقترب منه بأنفاسه المعبقة بالكحول ليواصل:

-بعد أن علمتك كيف تتخلص من الخنوثة، ووضعتك على بداية طريق الرجولة، بعد أن جئتني تبكي كالفتيات لأنك فشلت في إنقاذ والديك من الموت في حادثة السطو المسلح.

-(جاسر) ... أرجوك لا تقتلني، أنا لا أستطيع أن أنكر فضلك علي، ولكن ما مررت به كان فترة مؤقتة من عمري ولا يمكن أن أعود إليها مرة أخرى.

إشتعلت عيناه بالغضب حرفياً وهو يصيح:

-وهل تعتقد أن الأمر مرتبط فقط بإرادتك الحرة؟ هل تعتقد إنني سأتركك تعود إلى حياة الدعة والنعومة ؟ لقد علمتك أن تطفو فوق كل الظروف وأن تثبت للجميع إنك لا تبالي بسخافاتهم، ووضع كفاً ثقيلة كالذنوب على كتفه وهو يقول:

-لقد قطعنا شوطاً طويلاً معاً، ولن أدع جهودي تذهب هباء، لقد كنت أبحث عنك طيلة العام الماضي بجنون وأنت هنا تختفي خلف وظيفتك وذقنك الحليق وتلك العقاقير اللعينة، يجب أن أعترف لك إنني أدمنت وجودك في حياتي وبأنني ربطت كياني بكيانك، لا تبتعد عني مرة أخرى .... أرجوك

لهجة (جاسر) المستعطفة كادت أن تجد لها ثغرة في الجدار الذي إستغرق في تشييده طيلة العام الماضي، وبدا على وجهه التأثر و .. فجأة إحتل وجه (رنا) الصبوح المشهد أمامه، ووجد نفسه يصيح :

-لا ... لن تتمكن مني بعد كل ما فعلت، لقد قررت أن أتخلى عنك إلى الأبد ولن أعود مرة أخرى.

و هنا وجد ذلك الخنجر الضخم يظهر في قبضة (جاسر) الذي صاح:

-إذن فليكن فراقاً إلى الأبد.

قالها ليصرخ : لا يا جاسر ، لا . لا يا جاسر لا...

***

من تقرير د/ حسين الطراوي:

"لقد أسهم إهماله في تعاطي أدويته لما يقرب من ٤٨ ساعة في عودة أعراض الفصام التي أعالجه منه منذ ما يقرب من العام، تلك الشخصية الفصامية (جاسر) التي إحتلت كيانه كانت وسيلة دفاع من عقله الذي كاد أن يقتله لإدراكه إنه إختبئ عندما هاجم اللصوص منزله ليقتلوا والديه أمامه، والذي أدى إلى تدهور الحالة أكثر هو حالة رهاب الأماكن المغلقة(كلستروفوبيا) التي نشطت عندما تعطل به المصعد، و هذا تفسير الصراخ الذي سمعه عمال الصيانة الذين نقلوه إلى المستشفى في حالة إنهيار تام بعد إصلاح عطل المصعد.

إلى روح لافكرافت

أنا المفتش (ليجراس) من قوة مباحث (بروفيدانس) الذي يعيش أسوء أيامه وأكثرها توتراً...

فمدينته تعتبر مدينة هادئة للغاية، ولم يواجه طيلة العام الماضي إلا حادثتي قتل وبعض حوادث السرقة.

ولكن الجنون قد إجتاح المدينة بالكامل منذ ما يزيد عن الشهر وذلك الحادث يمكن ضمه لسلسلة الحوداث العجيبة التي وقف أمامها عاجزاً...

كان عدد من أفراد الشرطة يقفون بعيداً عن كومة الجثث بينما مستر (ريتشارد بيكويك) يقف مرتجفاً وقد إحتقن أنفه الضخم حتى قارب أن ينفجر وهو يلوح بكفيه ويقص ما حدث.

القصة كانت تتحدث عن استيقاظه فجراً على صوت الضوضاء التي يصنعها جاره الموسيقار (أرثر راندولف) بعزفه على الكمان، تلك الضوضاء التي أيقظت قطته (أليس) التي تقوس ظهرها وإنتفش شعرها وقفزت لتغادر المنزل عبر الفتحة المجهزة لها، وعندما خرج مستر (راندولف) في إثرها وظل يطاردها قادته إلى باحة خلفية لمصنع قرميد قديم.

كانت تموء في جنون وهي ترفع رأسها للسماء وكان ما شاهده بشعاً بما يكفي ليتصل بهم.

كومة ضخمة من جثث القطط المشوهة المبقورة البطن قد يصل عددها إلى المئات...

وهناك ذلك الرسم المشئوم الذي يحتل مساحة الباحة بأكملها

والسرجنت (هادلي) يقول بصوت مشروخ مرتعد:

-"لقد قاموا بانتزاع أمعاء كل القطط بعد قتلها وقاموا بتوصيل الأمعاء ببعضها البعض ليصنعوا حبلا طويلا شاذ التركيب قاموا بإستخدامه لرسم هذا الشكل"..

كنت أتطلع إلى نجمة خماسية منتظمة تماماً مرسومة بالأمعاء الدامية وفي مركز الدائرة هناك رسم لتيس ذي ذقن مدببة وعلى كل طرف من أطراف النجمة كان هناك شمعة سوداء نصف ذائبة...

الأمر يشير إلى طقوس شيطانية شاذة غريبة

شعرت بالتخبط و بإنني يجب أن أحصل على مساعدة...

كانت الساعة تشير إلى السابعة صباحاً و قفز الإسم إلى رأسي فجأة ... (بنجامين دكستر وارد)، (دكستر وارد) أستاذ علم النفس في جامعة (براون) الذي صار أهل المدينة يتحاشوه كالطاعون، والذي لم ينس أحداً حتى الأن ما قام به من أفعال شاذة عجيبة أدت إلى طرده من الجامعة، عرفت عنوانه من سجل التحقيقات ووصلت إلى منزله المنعزل الذي لم يغادره منذ شهور قام خلالها خادمه الخاص بإمداده بما يحتاج إليه من غذاء وجرائد...

إستقبلني في فتور كامل وعندما شرحت له إنني أريد إستشارة غير رسمية منه، صبّ لي كأساً من الشراب وبدأت أقص عليه ما تمر به المدينة...

" -بدأ الأمر بحفلة صاخبة تبادل فيها عشرة من الشباب والفتيات الطعن حتى الموت، وهناك ذلك الزوج الذي ذبح زوجته وإستغرق منه

الأمر عدة أيام ليلتهم فيها معظم أجزاء جثتها، و إنتهى الأسبوع الماضي بمشهد رهيب لخمسين رجلاً وإمراةً ساروا متشابكي الأيدي ليلقوا بأنفسهم في مياه المحيط ويغوصوا إلى الأبد.

وطبعاً لن نتوقف طويلاً عند ناظر المدرسة الثانوية العجوز الذي أفرغ خزانة بندقية (تومي) في صدور طلاب فصل كامل قبل أن ينتحر وإنتهى الأمر أمس بقتل وتمزيق عشرات القطط ورسم نجمة خماسية بأمعاءها"

كان (دكستر وارد) يستمع إلي مفتونا وهو يعد على أصابع يديه الحوادث التي كنت أقصها على مسامعه...

نهض وقادني إلى غرفة مستطيلة تمتلأ جدرانها بلوحات عجيبة

دخلت معه الغرفة وأشعل مصباحاً شحيح الإضاءة لأجد أن جدران الغرفة الأربعة تمتلأ بمجموعة ضخمة من اللوحات مرسومة بدرجات متفاوتة من اللون الازرق والأخضر.

اللوحات تمثل مجموعة شنيعة من الوحوش التي إقشعر لها جسدي، أغلبها يمثل كائناً غريباً؛ هو مزيج من الرجل العادي والإخطبوط الذي يحتل موضع الراس من الرجل وقد هبط منه مجموعة مهولة من الممسات أحاطت بجسد الرجل كفروع اللبلاب...

إلتفتت نحوه لأقول في إشمئزاز:

-"من المخبول الذي رسم تلك اللوحات اللعينة ؟"

أشار إلى صدره وقال في خوف: أنا لم أرسمها، أنا كنت الفرشاة التي إستخدمها في الرسم؟

"-أية فرشاة؟ و من الذي إستخدمها؟"

قال في كبرياء :

"-السيد، سيد الأحاد القدامي (Old Ones) ، (كتولو) ... ذلك الكيان العظيم الذي كانوا يقدمون إليه الأضاحي البشرية، ذلك الكيان العظيم الذي كان يملك الأرض قبل الإنسان.

كان يتحدث في جنون كامل ومال نحوي ليكمل :

-"كل تلك العلامات التي تحدثت عنها عبارة عن تمهيد لعودته ليحكم الأرض."

كنت قد بدأت أسترجع تلك التجارب الشاذة التي قام بها وبدأت أندم إنني جئت لهذا المخبول الذي أشار إلى القبو ليقول:

-"هل تشك في قواي العقلية ؟ يمكنك أن تتبعني إلى القبو."

تحسست مسدسي وتبعته بحذر، فتح باب القبو وتناول مشعلاً مثبتاً بجوار الباب ليقودني إلى ممر طويل يمتد مائلاً إلى بعد سحيق...

كان يترنم بأنشودة غريبة مما جعل جلدي يقشعر من تلك الحروف الشيطانية، ومع وصولنا إلى مساحة واسعة تشبه تجويف كهف عفن الرائحة، تتوسطها فوهة واسعة لبئر خبيث الرائحة، إبتسم ليقول:

-إنه ينتظرك، يريدك أن تنضم إلى كيانه العظيم.

وعندما وقفنا في صمت، رأيت تلك الأهداب التي بدأت تخرج من البئر وسمعت صوت الزئير الذي ملأ علينا المكان...

تراجعت إلى الخلف في رعب لن أنكره عندما صعد هذا الشيء وعندما وجدت مرافقي يضحك في جنون...عرفت أنه أحضرني ليجعل مني أول القرابين التي سيبدأ بها عصر الدم...

عصر(كتولو) .... كان ما رأيته كافياً لأصرخ في ذعر، وقد تهاوت كل صمامات تعقلي.

تركت الكهف خلفي وإنطلقت أعدو...

كنت أشعر بالكيان يملأ المكان خلفي...

وعندما خرجت من القبو وأغلقت الباب وقع بصري على مرآة مثبته بالجدار لأجد شعري الأسود قد شاب بالكامل...

يجب أن أحذر العالم

يجب أن أنقل ما رأيته

ومع إنهيار باب القبو

أدركت إنها نهاية العالم[1]

---

[1] كل السماء مشتقة بتصرف من عالم العظيم (لافكرافت)

القنبلة

أشعل سيجارة محلية خبيثة الرائحة، و تأمل الموجودات حوله في غير رضىً.نفث دخان السيجارة شاعراً أنه ينفث معه روحه ذاتها، يضغط أزرار الريموت محاولاً الوصول إلى محطة فضائية تزيل ببرامجها العتامة التي تغلف نفسه، بعينين نصف مغلقتين، أخذ يشاهد جثث الموتى المتناثرة على كل القنوات،حتى فتيات الفيديو كليب وجد أكثرهن اشلاءً متناثرة، إحداهن مازالت تغالب الآلام الإحتضار والدماء تلوث ثوبها الفاضح، مذيعو الربط في برامج التوك شو قد سقطت رؤوسهم أخيراً على المناضد أمامهم، هم وضيوفهم بثرثرتهم وضجيجهم وغرورهم وجهلهم. حتى الإعلانات اختلطت دماء ممثليها بعبوات الشاي والسمن والصلصة الحارة وشرائح البطاطس.طوح بجهاز التحكم ليصطدم بشاشة التلفزيون فتحطمت وسال منها خيط من الدم ليلوث الأرضية، ألقى سيجارته أرضاً بعدما اقتبس منها نفساً أخيراً ليدهسها بقدمه فلم يظهر لها أثر وسط القمامة المتناثرة على البساط الممزق. هبط من منزله وهو لا يري من حوله، أصوات تلقي عليه بالتحيات لا يسمعها ،عيناه زائغتان، رائحة عرقه تتصاعد إلى عقله فيزداد كرهاً لوجوده، الشمس تصب على رأسه مزيداً من حممها فينظر إلى قرصها الملتهب بإبتسامة ساخرة. يواصل السير في طريقة بلا هدى، يتأمل أشجار الطريق وقد تناثرت أوراقها الصفراء حولها تاركة إياها شبكة من الحطب الملتف حول نفسه، أجساد العصافير الصغيرة متناثرة وسط الأوراق، رفع عينيه إلى أعلى مرة أخرى، بالفعل السماء خلت تماماً من الطيور. بحث في جيوبه عن ثمن علبة سجائر جديدة فلم يجد إلا ثمن كوب من

الشاي، تجاهل نظرات الجالسين الساخرة من مظهره-فقد إعتادها، وجلس على مقعد متداعي في ركن ظليل خارج المقهي، أشار إلى عامل المقهى إشارة خاصة فجاءه بكوب ملوث بالدهون، وإبتسم مبرزاً أسنانه الصفراء الكبيرة على سبيل التحية. رشف رشفات سريعة في إشمئزاز شاعراً بإنه يشرب نوعاً من الحمض، بدأ زبائن المقهى يتشاجرون حوله على نتائج منافسات الدومينو والطاولة، ترك ثمن الشاي بجوار الكوب نصف الممتلأ، وخرج قبل أن يخرج أحدهم بندقيته الأليه من أسفل مقعده ليفرغها بعشوائية في صدور الجميع، وصلت إليه الصرخات المذهولة وهو يبتعد...

يبتعد في تبلد.. يبتعد بلا أي تعبير على وجهه النحيل، سنوات وهو يصارع الملل و اللاجدوى، يصارع الكآبة والقهر يلتهم جسده إلتهاماً ، عبر الطريق وسط أصوات الإرتطام الرهيبة لعشرات السيارات، أصوات المعادن وهي تحتضن بعضها البعض، مط شفتيه في ملل.

كان يشعر بالثقل المميز للشيء في جيبة يتزايد ويتزايد ،حتى شعر إنه يبطئ من حركته.

وصل إلى هدفه بسرعة لم يتوقعها...

شعر بنبضات قلبه تتسارع وكاد ان يتراجع عن قراره ولكنه حسم موقفه

أخرج القنبلة من جيب سرواله...

نزع فتيلها في برود وابتسم إبتسامته الأخيرة.

كوكب العميان

عندما حل (أوديب) حبل المشنقة من حول رقبة والدته (جوكاستا)، و حمل جسدها برفق ليرقدها على الأرض الرخامية و نزع الدبوسين الذهبيين من صدر ثوبها، رأى كل الخطايا التي إرتكبها واضحة أمام عينيه فلم يتردد في دفع الدبوسين إلى كرتي عينيه عدة مرات ليصيح وسط تدفق الدماء مخاطباً عينيه اللتين فقدا نورهما:

-ستظلان في الظلمة فلا تريان من كان يجب ألا ترياه ، و لا تعرفان من لا أريد أن أعرفه بعد اليوم ،حتى لا ترى الشمس المقدسة إنساناً دنساً فعل أكثر الجرائم بشاعة[1]

***

القطار يشق طريقه وسط المزارع التى ينتشر بها الجنود بزيهم النظامي وأقنعة الحرب الكيميائية والدخان الأسود والجو الضبابي المنذر بعاصفة مراوغة تأبى أن تأتي لتغسل الأرض من أثار الحرائق التي إشتعلت في المنازل على مدى الأفق، استند برأسه إلى زجاج نافذة القطار و بدا عليه الشرود قبل أن يتشمم الهواء بطاقتي أنفه ليقول لمرافقه :

-الأهالي مستمرون في حرق الجثث بلا كلل فرائحة الشواء البشعة تملأ الجو، ولا يعلمون إن جهودهم لن تجدي فتيلاً، فذلك الشيء لن

---

[1] المشهد الأخير من مسرحية (أوديب) ل (سفوكليس) حيث عرف البطل إنه قد قتل أبيه و تزوج من أمه دون أن يعلم و أنجب منها.

تقف أمامه النار، ذلك الشيء جاء ليقضي على الجنس البشري بأكمله، ومد يده ليلتقطها مرافقه ويساعده على العودة إلى مقعده، فعدل من وضع منظاره الأسود دائري العدسات ورجع برأسه إلى الخلف ومرافقه يقول له:

-مجلس الطوارئ للحكم يعتمد عليك يا بروفيسور(تاكفور)، ويقولون هناك إنك أملهم الوحيد كخبير أوبئة برغم....

وقطع عبارته في لهجة إستشعر منها البروفيسور الحرج ... فابتسم ليقول :

-برغم فقداني لحاسة البصر، لا مجال للخجل هنا.

كانت سرعة القطار تتناقص قبل أن يتوقف تماماً، فنهض البروفيسور ليمسك مرافقه بذراعه، و يقوده إلى باب القطار ليقول وهو يشرح له :

-لقد صنع مجلس الطوارئ خيمة عملاقة من البلاستيك الداكن تحتوي على مستشفى ميداني معزول بالكامل، وتضم أفراد مجلس الحكم وسفراء من جميع الدول المجاورة، و هناك تنسيق كامل بينهم ... وصمت ليعاونه على الهبوط و يكمل:

-باب القطار يتصل مباشرة بممر طويل نسير فيه الآن يقودنا إلى داخل الخيمة فهم يحاولون عزل أنفسهم عن أي مسبب للوباء، سواء كان بكتريا أو فيروس، وهناك عشرات من رجال الحرس الوطني يقفون أمام الباب مسلحون بأسلحة سريعة الطلقات، ولن يسمحوا لنا بالمرور إلا بكلمة سر تتغير يومياً، نحن أمامهم الآن، هل تعرف كلمات السر ؟

إبتسم وهو يقول :

-احفظها، لا تقلق.

ومع اقترابهما سمع صوتاً قوياً النبرات يقول :

-ما الذي يمشي على أربعة أقدام في الصباح، واثنتين بعد الظهر، وثلاثة في الليل؟"

ضحك البروفيسور رغماً عنه وهو يهمس :

-يالسخرية القدر لم يجدوا غير تلك الأحجية[1] و أجابه:

-الإنسان؛ وهو رضيع، يحبى على أطرافه الأربعة، كشخص بالغ، يمشي على قدمين، وفي الشيخوخة يعتمد على عصا للمشى.

إستقبله رئيس مجلس الحكم و شد على يده ليقول في تبجيل:

-بروفيسور (حليم تاكفور) نحن جميعاً في إنتظارك و كل إمكانياتنا ستكون طوع أمرك، هل تريد أن تزور المستشفى لتعاين الحالات التي لم تتعفن أطرافها بعد ، سترتدي زياً عازلاً بالكامل فلا تقلق.

هز رأسه و قال في ثقة:

-لم أعد أقلق من العدوى سيدي الرئيس، لقد أصبحت منيعاً ضدها، وزيارة المستشفى الميداني أصبحت غير ذات جدوى، ونصيحتي هي إعدام كل المرضى فلن نجد لهم علاجاً

قاده الرئيس نحو المائدة المستديرة ليساعده على الجلوس ، فتحسس المائدة أمامه حتى وجد بغيته، وشرب نصف زجاجة المياه المعدنية الباردة . وقال الرئيس:

-معنا البروفيسور (حليم تاكفور) أستاذ علم الأوبئة بجامعة (بوسطن) وقد عرفنا إنه الوحيد الذي تعرض للوباء وقام بدراسات

---

[1]تلك الأحجية وردت في نفس المسرحية حيث طلب (أبو الهول) من البطل أن يحلها و إلا قتله و قد حل البطل الأحجية فخر (أبو الهول) صريعا .

عليه قبل أن يتعرض لفقدان البصر و قبل أن يتفشى الوباء في العالم كله...

بدأ كل الجالسين في الترحيب به وعندما ساد الصمت، أدرك أنهم ينتظرون حديثه، فقال في هدوء :

-العالم من حولنا كاد أن ينتهي يا سادة، لو فحصتم خريطة العالم، وتتبعتم خطوط طولها وعرضها، لعرفتم أن هناك ما يقرب من السبعين نزاعاً مسلحاً قد بدأت قبل تفشي الوباء، سقط فيها ما يقرب من المليار نسمة، العالم كان يسير ببطء نحو حتفه ولكنه يسير بخطوات راسخة من نجاح إلى نجاح، قبل أن أفقد بصري وجدت أن العالم؛ فقد بصيرته تماماً ولهذا كان يجب أن تعاقبنا السماء بهذا الوباء الكاسح ،فنحن حتى لا نستحق الأوبئة التي تحدثت عنها الكتب المقدسة من دم و جراد و قمل، لقد صرنا أكثر إنحطاطاً و يجب أن نعيش على الدوام في قاع بئر مظلم....

-بروفيسور ... أرجوك، أنت أملنا الوحيد، اخبرنا بالطريقة المناسبة للتصدي للموت الذي حصد ما يقرب من أربعة أخماس البشر أولاً.

إبتسم البروفيسور ونزع منظاره الأسود، ليروا تلك الجروح الملتئمة في جفنيه والتي أغلقت محجريه تماماً وقال :

-أنا لم أفقد البصر يا سادة، لقد ثقبت كرتي عيني بنفسي بلا تردد، هل تعرفون لماذا فعلت هذا ؟

حاولت الصمت فنهض و قال:

-المرض ينتقل عبر الضوء ويترسب على جدران العصب البصري عبر الشبكية، كان أمامي فرصة أقل من يوم بعدما أصبحت بالعدوى، كان يجب أن أقرر، هل أترك نفسي لأتعفن حياً قبل أن أموت، أو أفقد حاسة البصر ...

تبادلوا النظرات في حيرة و ذهول ليقول أحدهم في صوت مرتجف :

-ماذا تقول ؟ هل تخبرنا أن النجاة من الموت تتطلب أن نصير كوكباً من العميان ؟

هز رأسه و هو يقول :

-فرصتكم الوحيدة هي أن تفقدوا البصر لتتفادوا الموت، وقد تنقشع الغمة ويغادرنا الوباء بعد عدد من السنين يعلمه الله ويعيش أباؤنا في النور من جديد، أما نحن فلا نستحق البصر بعدما فقدنا البصيرة.

وضع الرئيس كفاً على كتفه ليقول:

-وماذا عن المرشحات البصرية والنظارات الواقية من أشعة الشمس؟

إبتسم في مرارة ليقول:

-لقد قمت بتجربة كل الإحتمالات، ووصلت إلى نفس النتيجة كل مرة . الأمر محسوم يا قادة العالم.

***

تم إطلاق العملية (أوديب) بعد شهر من المداولات سقط خلالها خمسة من مجلس الحكم، وعشرات الملايين من البشر وعندما تأكدت لهم أبحاث البروفيسور (حليم)، إستسلم من إستسلم للموت مفضلين الموت في النور، ونجا كل من سارع بالتوجه للمعسكرات الطبية للخضوع لعملية فقدان البصر الإختياري.

نهاية جديدة للرجل الطيب

(ضربة واحدة بالهراوة تعادل مائة ضربة بالمطرقة).

كان (حسن) يؤمن دوماً بتلك الحكمة النفعية المثمرة، ولكنه لم يجد لها إستخداماً صحيحاً إلى الآن، المسدس الضخم طراز (حلوان) - الذي شراه بثمن بخس في فترة الإنفلات الأمني - يستقر بين لحم بطنه وبين حزام سرواله، ومكتب الصرافة على بعد خمسين متر منه، لقد استغرق منهم دراسة الأمر ما يقرب من الشهرين منذ فكر (أحمد) في سرقة مكتب الصرافة. العملية ستتكفل بنفقاتهم لعام مقبل وستجعلهم أرقى بما لا يقاس من مستوى (الهجامين) الذي أضاعوا فيه أعمارهم سدىً. (بسطاوي) كان يجيد التعامل مع تلك الأجهزة الكهربية من كاميرات مراقبة، وأجهزة كمبيوتر وخلافه وقد درس جيداً مسار كابلات الإمداد الكهربي التي تغذي مكتب الصرافة بالكهرباء، وشرح لهم كيف يمكنهم فصل المحول الكهربي الرئيسي المثبت بتلك الكابينة الرمادية التي تحمل رمز الجمجمة الكئيبة ورقم ١٣٤٥ لقطع الكهرباء عن الكاميرات وجهاز الإنذار، متوسط تعاملات المكتب مساء الخميس من كل إسبوع حوالي خمسة مليون جنيه، ولكن من قال: إن هناك كلمة شرف بين اللصوص .... و لهذا قرر أن ينفرد هو بالعملية، وها نحن نراه قد قرر التنفيذ قبل الموعد المحدد ب أربعة وعشرين ساعة. يقترب من الكابينة، يتلفت حوله ليحل لفات السلك المجدولة حول عروتي باب الكابينة والتي إكتفت بها شركة الكهرباء بدلاً من القفل، وبيد ثابتة غير هيابة أخرج (الزرادية) ذات اليد المعزولة

ليقطع ذلك الكابل الأحمر كما شرح لهم (بسطاوي) أغلق الباب كيفما اتفق وحثّ الخطى نحو مكتب الصرافة.

بدأ العاملون في إضاءة كشافات الطوارئ و حارس الأمن الوحيد يقف في تراخي يدخن سيجارة و يستمتع بنفث دخانها في دفقات متقطعة . يقترب منه و يدس فوهة المسدس في خصره ليقول:

-حركة واحدة وسيصير أطفالك أيتاماً، تقدم إلى الداخل. ومع دخولهما كان قد نزع مسدس الحارس ليشهر المسدسين في وجوه الموظفين، ويقول و هو يلقي بحقيبة قماشية سوداء نحوهم :

-أريد أن تمتلأ تلك الحقيبة برزم العملات خلال خمس دقائق فقط وإلا سوف أفجر رؤوسكم جميعاً.

و هنا حدث شيئان غير متوقعين...

إشتعلت أضواء المكتب لتحيل الليل ظهراً وفوجئ بثلاثة من الجنود وضابط شرطة يقتحمون المكان والضابط يصيح :

-إلق بالسلاح يا (حسن) لقد أبلغنا زملاؤك بأنك ستهاجم المكتب الليلة .... المكان كله محاصر، لا داعي للمقاومة ....

بالطبع لا توجد خطة طوارئ وبالطبع لم يكن يتوقع الغدر من رفاقه، وبالتأكيد الإستسلام سيعني أن يقضي ما تبقى من العمر في غياهب السجن بعيداً عن ابنته (عبير) التي يهيم بها حباً، ولذلك كان يجب أن يحدث ما حدث .... دار حول نفسه مصوباً المسدسين نحو قوة الهجوم و هو يصيح :

-لا يمكن أبداً أن.....

إستغرق الأمر منهم خمس طلقات وزعوها عشوائياً على مختلف أجزاء جسده الحيوية؛ ليسقط كبالون مثقوب ودماؤه ترسم لوحة سريالية مجنونة على أرض المكتب و إبتسامته تتسع

لم يكن يتألم في الواقع ، كان يموت في هدوء و صورة ابنته تملأ الأفق وهي تلوح بكفها الصغير وتصيح :

-حبيبي يا بابا .... حتوحشني أوي

تمت

الأسكندرية ٢٠١٧/٨/١٦

هز (محمود علوي) الكاتب المعروف يده ليعيد تدفق الدماء إلى أصابعه التي أرهقها خلال الساعة التي كتب فيها نهاية روايته البوليسية الأخيرة (شرف اللصوص)، وإلتفت نحو زوجته التي كانت تتطلع إليه في ترقب ليقول :

-أخيراً إنتهت يا (وديدة) بعدما إستغرقت مني ستة أشهر.

إختطفت الأوراق الأخيرة لتقول في لهفة:

- أنا متشوقة للغاية لمعرفة النهاية.

استغرقت منها القراءة نصف ساعة لترفع نحوه عينان حمراوان وأنفاً قد سال مخاطه لتقول في صوت متهدج :

-ما هذا ؟ ... أنا لا أستطيع أن أصدقك ... كيف تفعل هذا ب (حسن) وكيف ستستقبل زوجته (هناء) و إبنته (عبير) خبر مصرعه؟

-ما الذي تقصديه؟ إنه (هجام) وكان سيقتل مع أي تهديد كان سيتعرض له، كان يجب أن تنتهي رحلته تلك النهاية الدموية.

-لا، لقد أجدت رسم شخصيته وجعلتها ثلاثية الأبعاد بمهارة شديدة، ولكنك في النهاية قاتل يا (محمود)، أنت من كتبت له مسار حياته بالكامل وكنت تخطط منذ البداية لمصرعه بتلك الطريقة البشعة.

ضرب كفاً بكف و هو يقول:

-أنت عاطفية جداً يا حبيبتي وما تقولينه هو شهادة تقدير أعتز بها بأنني حافظت على الحائط الرابع، وجعلتك تتواصلين مع البطل وتتعاطفين معه بالرغم من كل جرائمه.

صاحت في تنمر :

-أنت جعلت منه (سعيد مهران) بطل (اللص و الكلاب) لنجيب محفوظ، وجعلتني أقترب من مأساته وألتحم معه، وفي نفس الوقت جعلته يسير في طريق مستقيم نحو نهايته كأبطال الملاحم الإغريقية. (محمود) سيكره القراء تلك النهاية.

أشعل سيجارة وقال:

-تأملي بدايته عندما تعرض لعملية نصب من عمه الذي سلبه نصيبه من ميراث والده، كيف كانت ردة فعله ؟ لقد قرر أن يسطو على منزل عمه. لم يتجه نحو السبل القانونية بالشكوى الشرطة أو رفع قضية ... لقد قرر منذ البداية أن يتبع طريق الشيطان، وعندما قرر أن يرتبط بحب عمره (هناء) كان يجب أن يسرق من جديد ليقوم بشراء شقة الزوجية، وهنا بدأ يتعاون مع مثلث الرعب (أحمد) و (بسطاوي) و (زيدان) وكون معهما عصابة للسطو على المنازل...

وضعت سبابتها على طرف أنفه لتقول:

-ولماذا إشترك مع تلك العصابة في أول عملية؟ لأنك جعلت (هناء) في حاجة لعملية جراحية خطيرة وكان ما يتلقاه من ملاليم في (السايبر) الذي يعمل به لا يكفي لتغطية نفقات العملية، هل كنت تريده أن يشاهد زوجته تموت أمامه ؟

-وبعد العملية ... لماذا إستمر في طريق الحرام؟ كان يمكنه أن يترك العصابة التي حيرت بعملياتها النظيفة المباحث الجنائية، لماذا لم يتركها؟!

ضحكت لتقول:

-ألم أقل لك إنني لا أصدقك، تتساءل لماذا؟ لأنك أنت المجرم الحقيقي يا زوجي العزيز، أنت الذي رسمت له هذا الطريق من البداية للنهاية، أنت الذي ورطته في كل تلك الجرائم.

-وماذا عن رب الأسرة الذي قتلوه عندما فاجئهم وهم يسرقون مسكنه ؟

-(حسن) لم يقتله ولقد حاول أن يمنع (زيدان) من طعنه بالسكين، هل رأيت من يستحق القتل؟ هل رأيت أنك ظلمته في تلك النهاية البشعة.

مالت نحوه وأحاطت عنقه بذراعيها لتقول في خفوت:

-أرجوك، اكتب له نهاية أخرى من أجلي.....

أطال النظر إلى عينيها الساحرتين النصف مغلقتين بتلك الطريقة التي تجيدها والتي تعرف تأثيرها عليه، ليقول و هو يبتلع لعابه:

- أعتقد أنه يستحق نهاية أخرى بالفعل...

جلست بالقرب منه وبدأ يضرب أزرار لوحة المفاتيح في سرعة.

***

سحب العلبة الخشبية من قاع الصوان وقام بفتح القفل الغليظ الذي يضم شطريها لينظر إلى المسدس الحكومي الضخم الراقد فيها منذ أن إشتراه بثمن بخس في فترة الإنفلات الأمني، وشد أجزاءه ليتأكد من إستعداده للمشاركة في النشاط تلك الليلة، كان الإتفاق بينهم أن

يهاجموا مكتب الصرافة مساء الغد، و لكن خطته الخاصة كانت تحتم أن يسبق الخطة بيوم كامل ويهاجمه وحده تلك الليلة، لقد درس الأمر جيداً وعرف كيفية تعطيل الكاميرات بفصل الكهرباء عن المكتب عن طريق الكابينة العمومية، لن ينتظر ليلة الغد ولا يوجد كلمة شرف بين اللصوص، دس المسدس في حزام سرواله واتجه نحو الباب وتراجع مذعوراً عندما وجد طفلته (عبير) تقف أمام باب المنزل الخشبي، وهي تحمل دمية الأرنب التي لا تنام إلا وهي تحتضنها، كانت تقف في ثبات تتطلع إليه في صمت...

(عبير) التي تغسل كل ذنوبه بحضن واحد من ذراعيها الصغيرتين

هبط على ركبتيه وإقترب منها في هدوء وهو يقول :

-حبيبتي .. لماذا تركتي فراشك ؟

لاحظ الدموع التي تغرق عينيها، فهبط قلبه في قدميه وهو يقترب منها أكثر ليقول : - حبيبتي، لماذا تبكين ؟

تركت دميتها تسقط أرضاً وعانقته وهي تبكي في إنهيار لتقول:

-كابوس، لقد حلمت بكابوس بشع يا بابا، رأيتك ملقىً في الشارع وقد تلوث قميصك هذا ببقع عديدة من الدم.

قالت عباراتها وابتعدت عنه وهي تحدق في قميصه وتتأكد بيديها من عدم وجود أية آثار للدم

خرجت زوجته من المطبخ لتهتف:

-بسم الله الرحمن الرحيم، لماذا تبكي يا (عبير) ؟

دار بعينيه بين وجهي زوجته وابنته و إستعاد تفاصيل الكابوس الذي قصته عليه

هل كان إستيقاظ إبنته في هذا التوقيت بالذات مجرد مصادفة ؟!

و هل كان هذا الكابوس مصادفة هو الآخر؟

رفع بصره إلى السماء المظلمة التي تعلن عن نفسها من خلف زجاج النافذة وشعر إنه يرى وجه الله

إتجه نحو إبنته وعانقها وضمها لصدره في قوة و هو يهمس في أذنها:

-لن أفارقك تلك الليلة يا حبيبتي.

وربت كتف زوجته التي تقف مذهولة ليدخل إلى غرفته ويطلب رقما قصيراً على هاتفه المحمول ويقول:

-أريد أن أبلغ عن عملية سرقة متوقعة لمكتب صرافة.

تمت

الأسكندرية ٢٠١٧/٨/١٦

ساعة شيطان

صداقتي مع (أبي هندية) تسمح له بأكثر من ذلك في الواقع، و أعترف لكم أن ما قمت به كان خطأ جسيماً، خطأ لا يمكن أن يغفره لي، و إن كنت أتمنى أن يسامحني حتى يغفر لي الله ذنوبي التي أعرف إنها عديدة ، تسألني كيف بدأ الأمر ؟

لا أعتقد إنني أمتلك الوقت الكافي لأعود إلى اليوم الذي إرتكبت فيه هذا الخطأ الرهيب منذ ما يقرب من العشرين عاماً، و لكن يمكنني أن أحكي لك ما دار بيننا وكيف تطور الأمر بنا أمس وأدى إلى تلك المأساة، و لكن على سبيل الأحتياط أريد أن تثبت في الأوراق الرسمية إنني سامحت (أبا هندية) ولا أحمل له في نفسي أية ضغائن.

لقد مضى بي العمر ودارت بي عجلة الحياة حتى وجدتني وقد قضيت ما يقرب من العشرين عاماً في (السعودية)، مارست هناك المهنة التي لا أجيد مهنة غيرها؛ بعد أن تبت والحمد لله عن مهنتي الأولى التي دعوت الله آلاف المرات، وأنا أؤدي فريضة الحج أن يغفر لي ما إرتكبته من آثام فيها، مارست مهنتي كسائق حاصل على رخصة قيادة مهنية درجة أولى، لم أتزوج لأسباب أرجو إعفائي من ذكرها ولذلك كنت أعود ل (مصر) لمدة لا تزيد عن الإسبوع، كل عام أزور فيها والدتي رحمها الله، وعندما لاقت ربها لم أجد سبباً لعودتي في إجازات، ولهذا يمكنك أن تقول: إنني لم أقابل (أبا هندية) منذ عشرين عاماً كاملة . وعندما إلتقيته مصادفة عصر ذلك اليوم وهو يحرث حقله بالفأس بنشاط شاب في العشرين من العمر، لم يصدق ولم أتخيل إننا إلتقينا بعد كل تلك الأعوام، جلسنا نستعيد ذكريات الصبا وشرخ الشباب و وجدته يضحك وهو يقول:

-و هل مارست هناك مهنتك الملعونة يا نصاب ؟

ضحكت بدوري و أنا أقول:

-لقد تاب الله علي والحمد لله، ثم إنهم في المملكة لا يسجنون السحرة ، ولكنهم يعدمونهم بفصل أعناقهم بالسيف.

شرب رشفة من كوب (الشاي الحبر) المطهو على (الراكية) وأشار إلي ليقول مبتسماً:

-ساحر أيها الدجال؟ شغل (شمهورش) والعجل العجل ...الواحاً الواحاً... الساعة الساعة الذي تخدع به زبائنك البلهاء لم أقتنع به يوماً، ولقد جلسنا منذ عشرين عاماً نتجادل في نفس المسألة، وقلت لك أن تختار أعظم خدمك المزعومين وترسله لي وسأكبله ب(سلبة) الجاموسة وأرسله لك بعد أن أضربه بالحذاء القديم ولكنك لم ترسل أحداً ....

وقطع وقتها عبارته وانفجر ضاحكاً . لقد شعرت بالغيظ الشديد وقتها و الشيطان اللعين دفعني أن أصدمه فقلت في سرعة وتهور:

-ومن قال لك إنني لم أرسله يومها ؟

قطع ضحكته ليقول:

-ماذا تقصد ؟

كان يجب أن أصمت ولا تأخذني العزة بالإثم ولكنني حدثت نفسي بأنه بخير تماماً الآن والموضوع مرّ عليه عقدين من الزمن، فقلت له:

-عندما تحديتني في مجلس السمر أمام الرجال، وجعلت مني أضحوكة القرية وشعرت إنني سأفقد سمعتي وزبائني، قررت أن ألعب معك لعبة صغيرة كتبت لك طلسماً بحبر غير قابل للذوبان في الماء على جلد سمكة حية من نوع (القرموط)، وقيدت السمكة بحبل متين إلى

حجر بارز بالقرب من شاطئ الترعة وكانت خطتي هي أن أدع الطلسم يعمل لمدة يوم أو يومين فقط لأثبت لك أنني ساحر حقيقي....

وجدت الإهتمام يرتسم على وجهه ليقول في هدوء:

-وماذا حدث بعد ذلك ؟

زفرت في ضيق وأنا أقول:

-ذهبت لأسحب السمكة لأقتلها ليبطل الطلسم أو (العمل) إلا إنني وجدتها قد تمكنت من قطع الحبل بوسيلة أجهلها وفرت..

وخفضت عيني لأكمل:

-شعرت وقتها بالعجز وخجلت أن أصارحك بما حدث فقمت بطقوس صرف الخادم بدون تدمير العمل، وقلت أن السمكة ستموت خلال شهور ويبطل العمل تماماً وهو إسلوب عادة ما ينجح وسافرت بعدها لأستلم عملي، ولكنك لم تحدثني عن أسرتك و أولادك.

وجدته وقد إحتقن وجهه تماماً يقول:

-وهذا العمل النجس هل كان يسبب حالة ما من الصرع ؟

كنت أعرف إنني إرتكبت خطأ كبيراً ولكن الأمر لم يتعد الليلة أو الليلتين ...فقلت في خفوت:

-سامحني يا صديقي، كنت شاباً متهوراً وأنا غاية ف الأسف لما سببته لك من أذى في تلك الليلتين.

نهض ورأيت نظرة غضب رهيبة في عينيه وهو يقول:

-ليلتين .... ليلتين يا إبن الكلاب .... لقد عاشت سمكتك اللعينة ثمانية سنوات قبل أن تموت ويبطل العمل ...ثمانية سنوات كنت أستيقظ قبل الفجر بساعة وأنا أنتفض وأعوي كالذئاب .... ثمانية

سنوات وأنا أتعذب وحملني أهلي إلي أكبر أطباء المخ والأعصاب بلا فائدة
وصمت وهو يحدق في وجهي غير مصدق وقد إحتشدت دماؤه كلها في وجهه ليصرخ في غضب مهول:

- أنت آسف .... آسف ! بهذه البساطة، لقد كانت نوبات الصرع تقتلني قتلاً كل ليلة واضطر والدي أن يسلك طريق الشيوخ والدجالين ليقول لنا ذوي الخبرة منهم إنه عمل سفلي، ولن يمكن النجاة منه إلا بعد أن نجد العمل ليقوموا بفكه ... فقدت نصف وزني وأصيبت أمي بالفالج وأنت تقول إنك أسف يا ملعون...

رأيت ساعتها الشيطان يطل من عينيه، وحاولت أن أقوم لأفر من أمامه ولكنه كان قد رفع الفأس و إنهال علي بها ، وها أنا أشهدكم مرة أخيرة إنني أسامحه.

بيت الدمية

اليوم سنتحدث عن قصة شيقة للغاية، سنتحدث عن تلك الفتاة الخرساء التي تعيش في بيت الدمية.

قالت (مارثا) ذات السبع سنوات عبارتها وهي تقف مرتدية ثوباً وردياً جعلها تبدو كالملاك وهي تقف أمام زميلاتها في الصف الدراسي ممسكة بكراستها التي دونت فيها قصتها لمناقشتها في حصة الدراما.

بدت الدهشة في عيون التلاميذ والتلميذات وعبّر البعض عن إنفعاله بضحكة أو شهقة ، المعلمة الشقراء الجميلة إكتفت بالإبتسام في حكمة. فلقد سمعت من تلميذاتها أغرب القصص التي تدل على خيال خصب كالمحيط و لذلك قالت بلهجة معسولة:

-جميل يا (مارثا) يا حبيبتي ، وما إسم تلك الفتاة ؟

لعقت(مارثا) شفتيها بلسانها وهي تتطلع إلى باقي التلاميذ وتقول في فخر:

-إسمها (فيرونيكا) وهي صديقتي الوحيدة..

رفعت إحدى التلميذات سبابتها وهي تقول:

-(فيرونيكا) دمية والدمى لا تتحدث، فلماذا تقولين عنها إنها خرساء؟

كانت المعلمة غاية ف السعادة بالنقاش الذي قد بدأ يحدث، فهي تعشق الأطفال في هذا السن ولهذا تصر دائماً على العمل في تلك المدرسة رغم العروض التي تلقتها بالعمل في مدارس إعدادية بمبالغ أكبر.

هزت (مارثا) رأسها نافية وهي تقرأ من الكراسة:

-(فيرونيكا) ليست دمية، إنها صديقتي وهي خرساء لأن (مالكوم) الشرير قطع لسانها وكسر ذراعها اليمنى.

صرخت فتاة سمراء :

-إنها حكاية مقرفة....

إبتسمت المعلمة وقالت:

-(مارثا) ... لا تفزعي زميلاتك بتلك التفاصيل، دعينا نتحدث عن (مالكوم)، من هو ؟

-(مالكوم) هو صديق (فيرونيكا)، ولقد كان يهينها يوميا ويضربها ويطلق عليها (السحلية الشمطاء) حتى حاولت أن تهرب منه وجاءت لكي تختبئ لدي في بيت الدمية ومن يومها وأنا لم أكف عن الحديث معها، كنت أقضي أغلب اليوم معها في بيت الدمية، وفي الليل أخرج منه لأنام في فراشي بعد أن يأمرني والدي، نجلس دائماً معاً وأغني لها و هي دائماً ما كانت ترسم لي رسومات جميلة وتكتب لي ما تريده في الورق؛ لأنها لم تستطع أن تتحدث منذ عاقبها (مالكوم) بقطع لسانها وكسر ذراعها...

-و لماذا عاقبها (مالكوم) الشرير؟

جالت بعيناها الزرقاواتين في وجوه زميلاتها و بدا عليها التردد قبل أن تعود لتقرأ من الكراسة:

-يقول(مالكوم) إنه إكتشف خيانتها له وسجل لها مكالمة مع عشيقها فكان يجب أن تتلقى عقابها...

بدأت المعلمة تشعر بالقلق لإنحراف أحداث القصة إلى هذا المسار العجيب، فصفقت بكفيها لتقول:

-رائع يا (مارثا) يا حبيبتي، قصة جميلة، يمكننا أن نستمع الآن إلى قصة أخرى ... قطعت عبارتها عندما شاهدت الدموع في عينيها فهبطت على ركبتيها لتصل إلى مستوى قامتها وتجفف دموعها قائلة:

-لماذا تبكين يا حبيبتي؟ هل هناك أحداث أخرى تريدين أن تقصيها علينا ؟

هزت رأسها و هي تقول في صوت متهدج :

-(فيرونيكا) تتألم طيلة الوقت، وخطها سيء للغاية لأنها كتبت القصة بيدها اليسرى فيدها اليمنى لا تزال مكسورة.

إلتقطت المعلمة الكراسة من يد تلميذتها و هي تقول :

(-فيرونيكا) الدمية ..... كتبت لنا القصة؟

كانت الكراسة ممتلئة برسومات ساذجة بقلم (مارثا) والقصة مكتوبة بخطها الطفولي، ولكن ما لفت نظر المعلمة هو الأربعة أسطر الأخيرة...

كانت مكتوبة بخط ردئ للغاية و لا تحتوى إلا على تكرار لحرفين....

sosososososososososososososos[1]

تأملت الحروف دقيقة قبل أن تفهم معناها و أغلقت الكراسة و تأملت إسم تلميذتها بالكامل (مارثا مالكوم ماكينزي)، و هنا تراجعت و قد إرتسم الذعر على معالم وجهها...

***

[1] إنقذوا أرواحنا SOS= Save Our Souls

عندما داهمت قوات الشرطة منزل الفتاة ، إستغرق منهم الأمر فترة حتى عثروا على باب القبو الخفي بمساعدة (مارثا)، و هناك وجدوا فتاة دلت التحريات على إنها (فيرونيكا جونز)، وكانت في حالة هزال شديد و عند فحصها وجد أن لسانها قد قطع بأداة حادة وفي ذراعها اليمنى كسر مضاعف لم يلتئم بعد، كانت على علاقة بوالد الفتاة وعندما عرف إنها ستنفصل عنه إختطفها وعذبها، و قرر أن يسجنها بالقبو وعندما انتبهت الفتاة لما يفعله، أخبرها بأنها دمية جديدة جاء بها من أجلها، و أن القبو ما هو إلا بيت لتلك الدمية، وتحت تأثير الضغط النفسي تعرضت (مارثا) لغسيل مخ، و إقتنعت بالقصة و حاليا الأب يقضي فترة العقوبة بالمصحة النفسية مشددة الحراسة وتم تسليم الفتاة لأسرة بديلة.

طبق يقدم بارداً

-أنا لا أستطيع أن أنكر تأثير عامل الصدفة في ترتيب اللقاء بيني وبينه، فالصدفة تفسر لك كيف تقاطعت مساراتنا وكيف التقيت به في هذا المكان وتلك الساعة بالذات، و لكن لكي تتزن المعادلة كانت تحتاج إلى أكثر من عامل الصدفة. يمكنك أن تضيف عامل الإصرار على أن أجده، فأنا أبحث عنه منذ عشرة أعوام وأربعة أشهر وستة أيام بالضبط. هناك أيضاً الإيمان، فمنذ أخبرني مكتب النائب العام بإغلاق ملف التحقيق في القضية وبعد أن تخطيت مرحلة صدمة إن حق إبنتي ذهب هباءاً منثوراً نشأ عندي إيمان راسخ إنني سأجده، والإيمان عامل مؤثر للغاية جعلني أنفق كل مدخراتي لأجمع كل المعلومات الممكنة، وتلك المدخرات مكنتني من الحصول على نسخة كاملة من كل ملف القضية قبل أن يغلقوها، وعن طريق هذا الملف إلتقيت بكل أهالي الضحايا والذين ساعدوني جميعاً عندما عرفوا الهدف الذي أسعى إليه، وعرفت منهم معلومات جديدة لم ترد في محاضر التحقيقات، وطيلة تلك السنوات كنت أجمع المعلومة بجوار المعلومة وقمت بتكليف مهندس جرافيك محترف بتصحيح الصورة التي رسمها رسام الشرطة بخشونة لوجهه، والتقيت بالضحية الوحيدة التي أفلتت على قيد الحياة برغم فقدها لذراعها الأيمن وجلست مع الرسام، وساعدتنا في الحصول على صورة جديدة ثلاثية الأبعاد، تلك الصورة التي علقتها على تابلوة سيارة الأجرة التي قمت بشرائها فكل محاضر التحريات تقول إنه: يتحرك بسيارات أجرة للبحث عن ضحاياه وعن طريق تلك التحريات التي قمت بها والأماكن

التي وجدوا فيها ضحاياه، حصرت نطاق عملي كسائق سيارة أجرة في هذا القطاع من المدينة، كنت أقطع الشوارع ذهاباً وإياباً، صباحاً وليلاً وصورته أمامي، لم يصيبني اليأس ولم أستسلم للإحباط، كنت أقف لكل الزبائن الذين يمتون له بصلة شبه، وضعت كل الإحتمالات في الحسبان . قد أجده يسير مصادفة في الشارع، وقد أجده واقفاً في إنتظار قنص ضحية أخرى وخاصة أن كل الحسابات التي وضعتها دلت؛ إنه يعمل وفق خطة زمنية طقوسية ما، و تلك الخطة تحتم عليه أن يمارس القنص هذا الشهر بالذات من كل عام. ووجدته .... كان يقف في هدوء رافعاً إبهامه إلي أعلى مع ضم باقي أصابع يده في إشارة (الأوتوستوب) الشهيرة ، تضاعفت دقات قلبي وحاولت أن أسيطر على إنفعالي، جلس على المقعد الخلفي في غطرسة وألقى لي بالعنوان، تأملته في المرآة التى أمامي، وقارنت ملامحه الهادئة الوقورة بالملامح التي تحملها صورته التي صنعها الكمبيوتر، وأدركت أن مهندس الجرافيك إستحق كل ما حصل عليه من نقود، الوغد وسيم للغاية، شعر أسود قد تناثرت خلاله عدة أسلاك من الفضة القيمة التي تكاثفت عند فوديه، ذقن عريضة توحي بالقوة وحاجبان يلتقيان في تركيز فوق إطار منظاره الطبي الثمين أثناء مطالعته لشاشه هاتفه المحمول الضخم. بيد ثابته أرسلت خمسة رسائل تحتوى علي رقم 666 إلى خمسة أرقام مسجلة لدي في ملف خاص على هاتفي ورويداً رويداً بدأت في تغيير خط السير حتى لا ينتبه إلا قرب النهاية، كان مستغرقاً في متابعة شاشة الهاتف حتى قلت له في هدوء :

-هل أنت جراح ؟

رفع عينين باردتين نحوي و هو يقول في هدوء:

-معذرة ... ماذا تقول ؟

-كنت أسألك عن مهنتك .. هل أنت جراح ؟

إبتسم برصانة ليقول :

-هل أشبه جراحاً تعرفه؟ سأل هذا السؤال وبدأ يراقب الطريق ليقول:

-ما علاقة طريق المطار بالعنوان الذي أمليته عليك ؟

وهنا ضغطت زراً مستديراً مثبتاً على نحو خفي أسفل عجلة القيادة ليرتفع في سرعة حاجز من الزجاج الشفاف ويفصل مقعد السائق عن المقعد الخلفي، بدا عليه الذهول لثانية واحدة قبل أن يصيح:

-هل أنت مجنون ؟ ما الذي تفعله ؟

دائرة الصوت التي جهزتها أتاحت لي سماع صراخه عبر سماعة مثبته بلوحة الأزرار أمامي وسحبت مكبر صوت لأثبته حول رأسي وأنا أقول:

-الزجاج لن يسمح لنا بالتواصل إلا عبر دائرة صوت مغلقة، هل تسمعني جيداً ؟

صمت و هو يتأمل الموقف حوله ليقول:

-أنت تعبث مع الشخص الخطأ ؟ من أنت ؟

-معك (أمجد رشوان عفيفي) هل يذكرك هذا الإسم بشيء؟

قطب حاجبيه لثوان، وبدا الفهم في عينيه وأخرج مسدسه المثبت به كاتم صوت قبيح ولم يتردد وهو يصوبه نحو رأسي عبر الزجاج، وأطلق طلقة مكتومة ثم طلقة أخرى وتطلع إلى الزجاج الذي صمد تماماً ولم يبدو عليه أي خدش...

فقلت:

-لا تحاول، زجاج النوافذ أيضاً من نفس النوع وجسم السيارة مصفح تماماً، حاول أن تحتفظ بهدوءك فستحتاجه...

لم يبدو عليه القلق وهو يقول في برود:

-أنا لا أنسى الأسماء، أنت والد (ياسمين) تلك السمراء الجميلة ذات العشرين عاماً، دعني أعترف لك، كانت أجمل ليلة قضيتها على الإطلاق ، هل لديك إبنة أخرى ؟

تجاهلت إستفزازه الوقح و قلت:

-دعنا من الإغتصاب والقتل فأنت كما عرفت من تحليلات الأطباء النفسيين ذو رجولة ضعيفة وسيكوباتي معادي للمجتمع، و لكن إسلوب التشريح الذي مارسته مع الضحايا الخمس والتمزيق والبتر....

قطعت عبارتي عندما قلب راحتيه ليقول في بساطة :

-لم تخطئ الهدف، لقد قضيت أربعة أعوام في كلية الطب ولكن لظروف مادية خاصة لم أستمر فيها، فبدأت أقرأ عن التشريح وتدربت على جثث قمت بشرائها من اللحادين، ولكن حلم ممارسة عمليات جراحية كاملة على أجساد حية كان يداعب خيالي دائماً.

-الأطباء الشرعيون قالوا في تقاريرهم إنك مارست جراحاتك المعتوهة علي الفتيات بعد الإغتصاب وقبل أن تذبحهن، هل قمت بتخديرهن؟ أم إستمتعت بتمزيقهن وهن على قيد الوعي كما فعلت مع (يارا) التي أفلتت منك ؟

كان غاية في البرود وهو يقول :

-وأين المتعة يا أبا (ياسمين) ؟ لن أستطيع أن أكذب أمامك، فأنت تتحدث عن تقارير وأطباء وبالتأكيد قضيت وقتاً كافياً في دراسة شخصيتي، أنا مريض منذ الصغر، لا أستمتع إلا بصرخات الضحايا ومشهد دمائهم...

أغلقت عيناي وأنا أتخيل مقدار الألم الذي مرت به إبنتي قبل أن تسلم الروح ونظرت له عبر المرآة لأقول:

-لمعلوماتك، زوجتي لم تحتمل رؤية ما تبقى من جسد إبنتنا بعد ما طلبوا منا أن نتعرف على جثتها في المشرحة، أنا رجل ميسور الحال و الحمد لله و لكنك سلبت أسرتي كلها بما فعلت، أنفقت كل ثروتي في تجهيز مستشفى خاص وغرفة طوارئ مجهزة بكل وسائل العناية الطبية وأقسمت إنها لن تفتتح إلا بعد أن أجدك

كان قد وضع المسدس بجواره وجلس يستمع لي و كأنه برفقة صديق حميم ليقول:

-ولماذا إنتظرت حتى تجدني لتفتتحها ؟

ضحكت وقلت:

-لقد أرسلت رسالة بكود معين إلى أباء ضحاياك وكلهم في إنتظارنا في المستشفى فلقد نسيت أن أخبرك إن والد (بسمة) ضحيتك الثانية إستشاري جراحة عامة لا يشق له غبار وسيكون هو المايسترو الذي سيقود العملية...

بدأت ألمح القلق في عينيه والتوتر في صوته وهو يقول :

-أية عملية ؟

ضحكت وقلت:

-سيعمل على ضبط درجة المخدر التي سنوصلها بجسدك حتى لا تقتلك الصدمة العصبية، وفي نفس الوقت ستظل محتفظاً بوعيك لتتألم، ولتستمتع بكل ما سيجريه عليك من جراحات وعمليات بتر متتالي، أنت بالطبع طالب طب فاشل ولكن والد (بسمة) سيشرح لك كل خطوة من مشروع عمره، و هو ما هو أقل قدر من الأعضاء يمكن للإنسان أن يعيش بها، سنبتر كل أطرافك على فترات زمنية متباعدة وسننزع كل ما يمكن نزعه من جذعك من كليتين وفصوص كبد ورئة

وأحشاء لكن ببطء وروية وإستمتاع، وهناك والد (يسر) الذي أقسم أن يلتهم لحم من فعل تلك الفعلة بابنته ووالد (هيام) الذي يريد أن يشرب لتراً من دمك النجس، كل هذا سنقوم به وأنت علي قيد الوعي .... وسيستغرق منا الأمر ما يستغرقه من وقت .. عامين .... ثلاثة... أربعة، لا يهم ، فكلما طال الوقت كلما شفيت جراح قلوبنا

بدأ يحاول ركل النوافذ ويصيح :

-أنا أحتفظ بحقي في محاكمة عادلة وأريد أن أخضع لعلاج طبي ونفسي.

ضغطت زراً آخر أمامي ليبدأ ضخ غاز مخدر نحو الهدية التي عوضتني بها السماء عن معاناة عشرة أعوام من البحث.

حارس الأرواح

ليلة هادئة فلقد كف جيراني أخيراً عن الشجار بعد منتصف الليل، وتوقفت القطط عن الشجار أسفل نافذتي، المطر لا يزال ينهمر منذ ليلة الأمس وقد بدا إنه لن يتوقف أبداً، صوت إنفجار قنابل السماء المعروفة بالرعد، وضوء البرق يلتمع من خلال خصاص النافذة ليضيء سقف وجدران غرفتي بضوء فضي، والفراش قد أصبح أكثر دفئاً من حضن أمي وأتحدى الآن أية قوة أن تحاول زحزحتي من الفراش. شراييني تنبض معلنة عن إرهاق يوم طويل مليء بالعمل والمجهود الذي كان والدي- رحمه الله - يحمل عني أغلبه، كان شعلة نشاط وحيوية برغم تعديه للستين من العمر، كنت أعيش حياتي لا يهمني سوى نهر النقود المتدفق الذي لا ينقطع والذي أنفق منه على ملذاتي ونزواتي تاركاً كل أمور الشركات والأعمال لوالدي ول(فريد) شقيقي الأكبر، حتى إنتبهت إلى إنني أصبحت خارج دائرة إهتمامهما. وبدأ والدي يسلم مقاليد الأمور قليلاً فقليلاً ل(فريد). كان هناك شقيقنا (عزت) الذي قرر أن يعتزل كل أمور (البيزنس)مكتفياً بعائد الوديعة الذي أودعها والدنا بإسمه، لينفق منها على دراسته للفلسفة التي إنحرف عنها ليهتم بالغيبيات والخرافات مما جعله موضع إنتقاد دائم لوالدنا. قررت قبل الحادث أن أقترب من دائرة والدي وأستغل دراستي في كلية التجارة، لأحمل عنه عبء جزء كبير من العمل ولأحاول العمل على منع سيطرة (فريد) الكاملة على مجموعة الشركات، وعندما بدأت في تولي الإشراف على عدد من الصفقات الناجحة، إنبهر والدي بحاستي الفطرية للتآمر والعمل على مد علاقات عميقة في الجانب الأسود من عالم الأعمال، حيث عالم الرشاوى وتجنيد العملاء

داخل الشركات المنافسة، الطرق الشمال كما كان (فريد) يطلق عليها، كل شئ كان يسير وقتها على ما يرام قبل أن أتورط في تلك العلاقة غير المشروعة مع زوجة رجل أعمال منافس ولم أنتبه إلى يقظته وتسجيله كل ما دار بيني و بين زوجته صوتاً وصورة، و كاد الأمر أن يتحول إلى فضيحة تطيح بكل ما بناه والدي قبل أن يتمكن من دفع تعويض ذي عدد مرعب من الأصفار حتى لا يصل الأمر إلى المحاكم، وقتها نبذني والدي مرة أخرى وسلم كل الأمور رسمياً إلى (فريد) كان ذلك قبل أن تقع الواقعة ويكتشفوا جثة والدي التي مزقتها الرصاصات بعد إقتحام للفيلا الخاصة التي كان يعيش فيها بعد وفاة والدتي، اللصوص حطموا باب الفيلا بعد قتل الحارس وأجبروا والدي على فتح الخزانة قبل أن يفرغوها من مليوني جنيه كان يحتفظ بها داخلها ويمزقوه بالرصاصات ، إنهرت وقتها وكدت أن أفتك ب(فريد) لأنه كان المسئول عن تأمين والدي ، تم وقتها تقسيم الثروة والشركات بيني وبين (فريد) وبين (عزت) بعد أن إنتهت التحقيقات إلى عدم مسئوليتنا عن الحادث البشع، إعتزلنا (عزت) إلى تجاربه الغامضة التي كان يقوم بها وإستمرت القطيعة بيني وبين (فريد) الذي تأكدت بوسائل ما عن إنه وراء تسريب علاقتي بزوجة رجل الاعمال إلى زوجها الذي قام بزرع كاميرات لفضحنا...

الأفكار تتصارع في ذهني المنهك لتمنعني من النوم والفراش يزداد دفئاً وصدر ذلك الرنين المميز لقدوم رسالة إلى هاتفي المحمول اللعين، نهضت مذعوراً والتقطته متطلعاً إلى الإشعار الذي يحمل إسم (عزت المجنون) الذي سجلت به رقم شقيقي الأصغر، قمت بفتح الرسالة التي كانت تحتوي على سطرين....

لقد إقتربت للغاية من الكشف عن حقيقة مصرع والدنا

يجب أن تقابلني الليلة في صومعتي الخاصة بعد ساعة...

ما الذي يعنيه ذلك الأبله برسالته ؟

وهل يعتقد إنني سأخرج في هذا الطقس المرعب ؟

جلست في الفراش أدخن سيجارة وأنا أتذكر تلك النظرة التي إرتسمت على وجه(عزت) يوم جنازة والدنا وكيف إنقلبت سحنته عندما مال نحوي ليقول:

-سيقيدوا الحادث ضد مجهول ولكن حق دمه لن يذهب هباء فسأتمكن من معرفة قاتله بإذن الله.

ما الذي سيفعله هذا المجنون؟ هل سيحاول مثلاً أن يستحضر روحه؟

قفزت لأرتدي أثقل سترة أمتلكها وإرتديت معطف المطر البلاستيكي و تأكدت من حشو مسدسي الغير مرخص قبل أن أستقل سيارتي وأنطلق نحو الفيلا الني يسكن فيها عزت والتي يطلق عليها الصومعة.

(عزت) كان في إنتظاري بعطره الزيتي الثقيل الخانق والوشوم العديدة التي تغطي ذراعيه وشعره الثائر الذي لا يصففه أبداً، نظره الجنون التي سكنت حدقتيه منذ سنوات عديدة، الخروف الأسود في العائلة الذي يبتعد عنه الجميع...

شد على يدي ودعاني للداخل حيث تلك اللوحات المرعبة التي تغطي الجدران، تناول مني معطف المطر وسترتي الصوفية ليعلقهما على مشجب قريب وتركني أتأمل كل تلك الشموع السوداء المثبتة في شمعدانات نحاسية بديعة الصنع والتي أضاءت المكان بضوء متقطع يلقي الظلال على الجدران والتوجس في النفوس ورائحة بخور قوية تغلف جو المكان لتجبرك على الإسترخاء...

-إنك تزداد جنوناً يا شقيقي الصغير ...

لم يبتسم وإن بدت سيمات الخطوره على ملامحه وهو يقترب مني ليقول:

-لقد قضيت طيلة العام الماضي في دراسة أمور محرمة مثل كيفية إستحضار الأرواح ومخاطبتها في عالمها الآخر وأنفقت عشر الآلاف من الجنيهات على شراء مخطوطات أصلية ومراسلة جمعيات شهيرة لتحضير الأرواح حول العالم.

قطع عبارته ليرى رد فعلي على ما قاله، كنت محبطاً للغاية لأنني توقعت منه كل ما قاله وإن لم يظهر هذا على وجهي وجلست لأشعل سيجارة وأقول:

-ستجد الأرواح التي تستحضرها مسكناً مريحاً داخل عقلك المجوف وستزداد خبالاً

جلس ليواجهني و يهز رأسه ليقول في إحباط:

-وللأسف الشديد وجدت أن أكثر التجارب كانت تعطي نتائج مخادعة وفي أغلب الأحيان لا تحضر الروح بل تحضر شياطين مخادعة تعبث بعقول وحواس الحاضرين، وهنا وقعت في يدي مخطوطة نادرة تتحدث عن كيان تحدثت عنه الأساطير السلافيية يدعى (Domovoy) دوموفوي، و هذا الكيان عادة ما يظهر عند إستحضاره كرجل ضئيل القامة ذو لحية عظيمة وهذا الكيان يستطيع ان يتصل بالروح التي نحددها ليعلم منها إسم وكينونة القاتل ويلحق به أبلغ الأذى...

بدأ حديثه يثير إهتمامي للغاية، فهذا هو التجديد الحق فابتسمت وقلت:

-ما أبدعك يا (عزت) وهذا الأخ (دوموفوي) هل سيستجيب لطرق الإستدعاء التي وجدتها في المخطوطة؟

ضحك بتلك الطريقة الإنفجارية التي تميز ضحكاته المجنونة ليقول:

-لقد إستجاب لإستدعائي بالفعل ... وقطع العبارة ومال نحوي ليقول وقد إتسعت حدقتاه بفعل الإدرينالين الذي يفرزة جسده بالجالونات:

-تقول الأسطورة إنه يفضل العيش في المواقد والأفران ويفضل السير معتمداً على عصاً ضخمة.

ونهض ليشير إليّ قائلاً:

-إتبعني، نهضت وتبعته إلى مدخل القبو وعبرت في حرص فوق عدة خطوط من سائل أحمر يشبه الدم، وعندما هبطت معه السلم القصير وشاهدت جثة القطة المذبوحة والموضوعة وسط رسم معقد مرسوم بالطبشور على الأرض، أدركت إن السائل هو دم بالفعل كل هذا لم يلفت نظري ولم يثر توجسي أكثر من أثار الأقدام الحافية التي إنطبعت على الأرضية والجدران في خطوات عشوائية وعندما صعدت ببصري إلى السقف وجدت نفس الآثار موزعة باللونين الأبيض والأسود

إلتفتت إليه في تساؤل ليقول وهو يصفق في حماس:

-لقد أخبرتك أن (دوموفوي) يعيش في المواقد والأفران وما تراه هو أثار أقدامه الملوثة بالسناج والدقيق، لقد قمت بطقوس الإستدعاء بالأمس وفقدت الأمل عندما لم يحدث شيء،ولكنني منذ ساعتين سمعت جلبة بالقبو فجئت لأرى تلك الآثار التي لوثت كل شيء .... لقد نجحت يا شقيقي وسننتقم من قاتل والدنا...

إرتديت قفازي الجلدي وقد أثار ما قاله توتري و إشمئزازي وقلت له :

-هل أخبرت أحداً إنني قادم لزيارتك ؟

-لا بالطبع فلن يصدقني أحد...

-هل (فريد) على علم بما توصلت إليه ؟

(-فريد) لم يستمع لي من قبل، ولكني كنت أراهن إنك ستستمع إلي وستصد.........

قطع عبارته عندما دوت الطلقتين المكتومتين اللتان صوبتهما نحو صدره ورأسه و سقط أرضاً كجوال من البطاطس.

لن أحتمل تلك التجارب البلهاء أكثر من ذلك، لا أعرف ما الذي قام بإستحضاره ولا أعرف هل هو صادق أم مخرف؟! ولكن جريمتي الكاملة التي إرتكبتها بقتل والدي لن أسمح بأي محاولة لكشفها، لقد حرصت منذ دخولي لمنزله علي عدم لمس أي غرض وإنحنيت لإلتقط هاتفه المحمول الذي أرسل منه الرسالة وخرجت لأستقل سيارتي وأعود إلي منزلي، فالجو لم يتحسن حتى الأن وأريد أن أستكمل نومي حتى الصباح

وعندما دخلت إلى غرفة نومي وضغطت زر الإضاءة لفت نظري شيئين:

آثار الأقدام الصغيرة التي لوثت الأرض والجدران والسقف بلون الدقيق والسناج وذلك القزم الذي خرج من خلف الصوان

جسداً صغيراً يماثل حجم جسد طفل فيالسادسة ولحية بيضاء ضخمة تصل لخصره وتلك العصا السوداء التي يتوكأ عليها...

تراجعت إلى الخلف في رعب وأنا أصرخ محاولاً إخراج مسدسي وكان آخر ما شاهدت هو تلك النظرة الشيطانية، التي تشعها عيناه وعصاته الضخمة التي رفعها أعلى من مستوى رأسي .

الفأر

الجو الدافئ الحميم المميز للمناطق الشعبية والوجوه التي جعلها الفقر تتشابه، كان (خليل الأشموني) يسير الهوينى بلا ريث ولا عجل وسط الجموع بالقرب من مسجد (السيدة زينب)، فهو يمتلك الوقت كله، ليس لديه عمل صباحي يحتم عليه اللجوء إلى الفراش ليستيقظ مبكراً وليس لديه زوجة لحوحة تحاسبه على كل ثانية يغيبها عن المنزل، وبالطبع ليس لديه أبناء ترتفع درجة حرارتهم ويضطر للبحث عن صيدليات ليلية ليجلب لهم عقاقير خافضة للحرارة، وإذا نظرت للأمر نظرة أشمل وأعم ستجد أن (خليل) لا يمتلك منزلاً ليلجأ إليه ليلاً ويغلق عليه بابه، فمنذ خروجه من السجن الذي قضى فيه سنتين مع الشغل عقوبة لتبديد عهدة المخزن الذي كان يشرف عليه وهو هائم على وجهه بعد أن قام صاحب الغرفة التي كان يستأجرها بفسخ عقد الإيجار، عمل لشهرين في مقهى شعبي يقوم بغسل النارجيلات و يذودها بالماء المخلوط بماء الورد وبرع في رص (كراسي المعسل)، و كان صاحب المقهى يسمح له ليلاً بالنوم أسفل (الناصبة). ولكن الأمر كان أقوى من قدرته على المقاومة فبدأ في إختلاس علب (المعسل) وأكياس البن، حتى إفتضح أمره وتلقى (علقة) لا بأس بها علي يد عمال القهوة وألقوا به في الشارع، يسير بلا هدى ويفكر في المكان الذي سيقضي به تلك الليلة وهو لا يملك إلا جنيهات قليلة. صحته لن تحتمل المبيت كالمتسولين والمشردين على الرصيف أو أسفل أحد الكباري، قدماه بدأت تعلن عن حاجتها إلى الراحة وعين السمكة التي تزين إصبع قدمه تبعث ألاماً لا تطاق برأسه الحليق، غداً يوم

جديد وسيجد وظيفة جديدة لا يطالبه ربها بأوراق شخصية أو سجل حالة جنائية (فيش و تشبيه) فسيجد به قائمة عامرة من السوابق لأن إختلاس عهدة المخزن لم تكن سابقته الأولى، ولكنه يحتاج إلى فراش ... أي فراش؟ وهنا لمح تلك اللافتة الباهتة التي يضيئها مصباح نيون تالف، يومض طيلة الوقت والتي تحمل إسم (فندق الكلوب الزينبي)، قرر أن يجرب حظه وصعد السلم الزلق المتسخ ليجد شاباً نحيلاً كالعنكبوت يجلس خلف مكتب خشبي أسود لونه، إبتسم عندما رآه وقال مرحباً:

-تفضل ستجد لدينا غرفة مناسبة وفراشاً خالياً من الحشرات

عبث في جيبه ليطمئن على الجنيهات المعدودة التي فيه وقال:

-أريد أن أقضي سواد الليل فقط ومعي أربعين جنيه.

نظر إليه الشاب ليتفحصه وقال وهو ما يزال محتفظاً بإبتسامته الصناعية:

-لدينا ما يناسبك.

وقاده عبر ممرات مليئة بأعقاب السجائر وخيوط العنكبوت، ليفتح باب غرفة لا تقل قذارة عن الممرات و أشار إلى الفراش ليقول:

-الغرفة مشتركة بينك وبين الأستاذ (مدكور)، وتلك هي ملابسه فهو يستخدم الغرفة من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الثانية عشرة مساء ولقد غادر لتوه والغرفة ستكون ملكك من الآن حتى ظهر الغد، تأمل (خليل) الغرفة بما تحتويه من ملابس عجيبة وصناديق ليقول:

-وما كل تلك الصناديق ؟

-إنها أغراض الأستاذ (مدكور) فهو ساحر كبير ومشهور في الملاهي الليلية والسيرك.

تأمل (خليل) الفراش وقدميه تنبضان بالألم ورأسه تدور وتخيل مقدار المتعة التي سيحصل عليها بعد دقائق...

فهز رأسه موافقاً وتحرك نحو الفراش وهنا لاحظ تردد الشاب في الخروج فنظر له في تساؤل ... فأشار الشاب إلى صوان الملابس المائل الكالح ليقول في تردد:

-الصوان يصدر صريراً عالياً للغاية وهذا الصوت يسري على الجدران ليلاً فيقلق النائمين ، وشرط حصولك على الغرفة هو أن تتعهد بعدم فتح الصوان من الآن وحتى السادسة صباحاً وتلفت حوله ليقول في خفوت:

-من أجل مصلحتك أولاً.

نظر للصوان ثم للشاب ولاحظ تردده فقال:

-كما ترى، سأنام بملابسي ولا أملك ملابس أخرى تحتاج إلى صوان.

خرج الشاب ونزع (خليل) حذاءه وشعر بالدماء تتدفق إلى أصابع قدميه فجر نفسه نحو الفراش، ويلقي بجسده عليه ليصدر عنه صرير وأزيز وزمجرة غاضبة، بدأت جفونه تلتقي وتصافح بعضها البعض ليوقعوا وثيقة الإستسلام، ويسمحا له بالنوم كقالب القرميد حتى الصباح، وهنا تحركت تلك الحاسة السوداء والغريزة الملعونة التي توردہ دائما موارد التهلكة، هذا الأبله يعتقد إنه سيخدع (خليل الأشموني) الذي يجيد اللعب بالثلاث ورقات وثقب (التعريفة) ... صرير يزعج النائمين! إن رواد هذا المجرور العفن لن يزعجهم سوى دوي القنابل. شعر بالتعب يفارقه شيئاً فشيئاً وجلس على الفراش يرمق الصوان بتركيز، بالتأكيد هذا ال (مدكور) يخفي داخله مقتنيات ثمينة أو أغراض سحرية قيمة وإرتسمت إبتسامة واسعة على شفتيه المتشققتين كشفت عن أسنانه النخرة ليقول:

-وماذا عن النقود ؟

نهض وزحف كالثعبان نحو الصوان ليحاول جذب بابه في حذر ، فلم يستجيب:

-صوان مغلق ... هل يمزحون؟ إنهم لا يعرفون من هو (أبو خليل الوحش).

أخرج من جيبه عليه من الصفيح الصدئ ليخرج منها عدة أدوات حادة، وبدأ يتعامل مع رتاج الصوان الذي إستسلم له بعد أقل من دقيقة، جذب الباب لينفرج في هدوء تام بدون أدنى صوت مما جعله يطلق صوتاً حلقياً غليظاً ليقول:

-صرير.... صرير يا إبن ال......

بدأ حملته الإستكشافية وسط أرفف الصوان، موجة الإحباط وخيبة الأمل صفعته في غير رفق وهو يقلب مجموعة من الحلقات المعدنية المتشابكة، وعدداً من قطع القماش الملونة المتصلة معاً وقبعتين من تلك القبعات التي يخرجون منها الأرانب وعصاً سحرية مصنوعة من قطعة خشب متآكلة. تأمل محتويات الصوان في مقت وبصق أرضاً وحرك قدمه ليزيل أثر البصقة، فارتطمت بقاعدة الصوان ليسمع ذلك الصوت الذي يدل على وجود فراغ ما.

هبط على ركبتيه وبدأ يضرب قاعدة الصوان بطريقة فنية حتى خرج منها درجاً سرياً فجذبه إلى الخارج وتطلع إلى علبة مستطيلة من مادة كالزجاج مقسمة بحواجز عرضية وطولية إلى أجزاء مربعة متساوية، ولدهشته شاهد عدداً من الحيوانات والحشرات محتجزة في الأجزاء المربعة... دودة ملتفة حول نفسها وضفدعة وعنكبوت ضخم وقطة صغيرة . وبجوار العلبة الزجاجية وجد كتاباً ذو غلاف من الجلد المدبوغ حاول أن يفتحه فلم يستطع، قرأ على كعبه عبارة

طويلة(خمائر السرائر الإلهية في بواهر الجواهر الفوثية)، كان الجنون قد تملكه وشعر بالخديعة التي تعرض لها عندما إعتقد أن الصوان ممتلأ بالكنوز، على الغلاف الجلدي الخلفي شاهد مربعاً غائراً فدس سبابته ليستكشف وأطلق سبة عندما شعر بشيء مدبب يجرحه وجذب سبابته ليرى ذلك الثقب الدقيق الدامي، وصدر عن الكتاب صوت مكتوم قبل أن تتحرك صفحاته ليستقر مفتوحاً على صفحة ما

إقترب من الكتاب ليشاهد تلك الطلاسم التي تملؤه وصورة فأر قبيح تتوسط الصفحة اليسرى...

إقترب أكثر من الصفحة ليتأملها في فضول، خيل له أن الطلاسم المكتوبة بالحبر الأحمر تتغير حتى أصبحت مكتوبة بالعربية التي يفهمها، دلك عينيه براحتيه ليهمس لنفسه :

-ما الذي يحدث... ؟!

بدأ يقرأ كالمسحور :

عزيمة (السخط و المسخ) يجب أن تنفذ وأنت على غير وضوء ويجب أن تمسك بالعصا الخشبية بيدك اليسرى ويجب أن تنطقها أمام المرآة ، تحرك بالكتاب في ثبات وحركات ميكانيكية كالروبوت وأمسك بالعصا الخشبية ليواجه المرآة وبدأ يقرأ:

-ياي نجناه ...يوج سوثوث

هي لجيب

فاي ثرودوج ...يواه ....جيب ليب

زرو

دسميس جيشيت بون دوسيف دوفما انتيموس

لارلياهل سيهويل فلجانجل دا لا ....يها نتلى

***

فتح (مدكور) الغرفة ولفت نظره الصوان المفتوح والكتاب الموضوع مع العصا على الرف الخشبي المثبت أمام المرآة، فابتسم وأغلق الباب فوراً ليقول محدثاً الفراغ:

- لقد إتبعت فضولك يا مسكين وأنت تعرف أن الفضول قد قتل القط، أين أنت ؟ أنا أعرف إنك هنا....

وقطع عبارته عندما شاهد ذلك الفأر الأسود الذي يقف في خوف على قائمتيه الخلفيتين يتطلع إليه...

فهبط ليلتقطه ويتطلع إليه قائلاً :

-فأر جميل وتحرك نحو العلبة الزجاجية ليعالج غطاءها ليودع الفأر إحدى فراغاتها المربعة ويربت عليها ليقول، وهو يتأمل الخانات القليلة الشاغرة:

-إقتربنا من تقديم القربان الأعظم، إقتربنا من تحقيق كل المجد.

نور اللّه

- لا أعرف كيف يمكن أن أبدأ حكايتي؟ لن نتحدث الآن حول إمكانية أو عدم إمكانية تصديقكم لها، فهذه مشكلتكم أنتم وليست مشكلتي، يمكنكم أن تنادونني ب (نور الله)، أعرف أن (نور الله) موجود بالفعل وأمي تحمله ليستمتع بدفئها وحنانها، وأعرف من نظرة عينيها إنها لم تنسني بعد.

هل ما خرج من بين شفتيك وما سمعته حقيقي؟

هل تلومنني على كل ما حدث؟!

هل تجرؤ على لوم طفل صغير في سن الخامسة كان مدفوعاً إلى الإستكشاف والتجربة بحكم سنه وغريزته؟

الخطأ منذ البداية هو خطأ أبي وأمي اللذان تركاني مع جليسة أطفال مهملة، وخرجا ليحتفلا بعيد زواجهما، والخطأ يجب أن تتحمله (بسمة) جليسة الأطفال - رحمها الله - التي انشغلت عني بمشاهدة التلفزيون، وتركتني أخرج محتويات صوان المطبخ المحرم وتصادف أنني قمت بسكب بعض من سائل تنظيف ما بالقرب من موقد الغاز الذي كانت (بسمه) تغلي ماءً عليه لإعداد (النيسكافية)، كل ما أتذكره هو تلك الزهرة البرتقالية الشريرة المتوحشة، التي زحفت إلى زجاجة المنظف من الموقد لتحيط بي من كل جانب...

صرخت ...صرخت من الألم الرهيب الذي لم أكن أتخيل مجرد وجوده في تلك الدنيا؛ التي لم أكن أعرف عنها غير اللعب الهدايا

والدفء والحب والسعادة، وعندما تنبهت جليستي واندفعت نحوي في فدائية لتنقذني؛ وهي تصرخ في هلع ،كنت أتمنى أن أقول لكم إنها أنقذتني و لكن ذلك السائل الذي كنت ألعب به و الذي جذبتني إليه رائحته العطرة القوية، كان غاية في القوة، وعندما تقدمت نحوي لتنقذني إبتلعتها الزهرة البرتقالية، الألم كان رهيباً وتخبطت أنا وهي في الجدران طويلاً، وعندما إقتحم الجيران الشقة عندما سمعوا الصرخات ورأووا الوهج...كان كل شيء قد انتهى. إنهارت والدتي عصبياً، وقضت ما يقرب من الشهرين في مصحة نفسية ، فقد والدي ربع وزنه وأدمن المهدئات، كان هناك عدة مشاكل قانونية تتعلق بمصرع جليستي في منزلنا، وتم حلها بقبول أسرتها لما يطلقون عليه (الدية)، تسألني كيف عرفت كل هذا بعد مصرعي ؟

لقد رأيت كل شيء، كنت أتحرك بعد الحادثة كالعصفور، لا لم أكن أرفرف بجناحاي ولكنني كنت أتحرك سابحاً في الهواء، رأيت جنازتي بعينيّ و رأيت والدتي التي كانت نائمة أغلب الوقت في المستشفى، وعندما تستيقظ كانت تصرخ وتبكي طيلة الوقت مما كان يجعلهم يحقننوها بسوائل ما لتنام مرة أخرى، كنت أريد أن أخبرها أنني موجود ولم يحدث لي أي شيء، لقد نجوت من الزهرة البرتقالية، كنت أتأمل أجزاء جسدي لأجد إنني بالفعل سليم، ولا توجد أية آثار لأية حروق. و لكنها لم تستطيع أن تراني، حاولت أن أربت كفها مواسياً وحاولت أن أهمس في أذنها بدون أية فائدة، لم أكن أعلم معنى مصطلح (الشبح) وقتها، كنت متأكداً وقتها؛ أنني موجود ولكنهم لعيب ما في عيونهم وأذانهم لا يستطيعون أن يرونني أو يسمعونني ، مرت الأيام وعادت والدتي إلى المنزل، وعاد والدي إلى عمله بعد حملة نظافة وترميم كاملة للمنزل لإخفاء أثار الحادثة، هل بدأت والدتي تنتبه لوجودي؟ في بداية إستقراري بمنزلي لم أعرف. كل ما عرفته إنني أصبحت أستطيع أن أتحكم في حركة يداي مع الوقت، وأصبحت أستمتع باللعب بألعابي عندما لا تتواجد والدتي في غرفتي، في البداية

كانت تكتفي بجمع الألعاب التي فرقتها في كل مكان، وتجلس على فراشي لتقرأ للفراغ قصة أطفال جديدة، كنت أجلس بجوارها لأستمتع بالقصص الجديدة، وكنت أشاهد والدي يراقبها في صمت وعرفت من مكالماته مع طبيبها النفسي؛ أنه يشك في أنها لم تشفَ بعد، فقد كان يعتقد أنها تقوم ببعثرة الألعاب، وتقوم بجمعها ثانية لتوهم نفسها بإنني لازلت موجوداً، وذات مرة وجدتها تبتسم للفراغ وتقول وهي تنظر إلى عينيّ مباشرة:

- أنا أحبك وأعرف أنك ما زلت هنا.

مرت الشهور في مسارها المعتاد، وعرفت إن والدتي إمتنعت عن تناول الدواء وعن ما يسمى حبوب منع الحمل بدون علم والدي، و صارحته وسط ذهوله إنها حامل في الشهر الثاني، وذات يوم جلست والدتي بجوار والدي لتقول له في همس:

-(نورالله) يحضر كل ليلة ليلعب بلعبه وأنا أعرف أنه موجود بيننا وكل يوم أجلس لأقرأ له قصة جديدة.

نظر إلى بطنها التي تكورت أمامها ومال نحوها ليقول: -ما الذي تعنينه يا حبيبتي؟ لقد غادرنا (نور الله) منذ عام تقريباً؟!

-شبحه يا (آسر) إنني أقصد شبحه، لا يزال يعيش في غرفته ويمارس كل طقوسه.

أحاط رأسه بكفيه كعادته عندما يرتج عليه القول ولا يجد ما يقوله وصمت لفترة قبل أن يقول :

-حبيبتي ...الأشباح مجرد خرافة...لا يوجد ما يسمى بالأشباح.

-أنت لا تفهم...أنا أشعر به كل ليلة صدقني، كل ليلة أجد الألعاب وقد تبعثرت في كل أنح....

مال نحوها و ضغط كتفها بشيء من القسوة و هو يقول :

-قلت لك إن الأشباح خرافة، كل ما تشاهدينه وتشعرين به أوهام في رأسك لإنك توقفت عن تناول العلاج من أجل هذا الحمل الذي جاء قبل أوانه.

صمتت ولم تناقشه ومرت أيام وشهور وذهلت عندما عادت والدتي تحمل طفلاً صغيراً غيري، والكارثة إنهم أطلقوا عليه أيضاً (نور الله) وليضاعفوا غضبي وجنوني، جعلوه ينام في فراشي وفي غرفتي، كان قدوم الرضيع السخيف له أكبر الأثر في تحسن حالة والدتي التي وجدت فيه العوض والسلوان.

هل سمعتم من قبل عن غضب الأشباح؟

لقد شعرت بمقت رهيب لم أشعر به من قبل، شعرت بكل سواد الكون يتكثف ليسكن صدري، لهذه الدرجة نسوا وجودي!؟ حتى والدتي لم تعد تقرأ لي قبل النوم وصارت تقرأ ل(نور الله) الجديد، شعوري بالمقت والسواد إنعكس على كل جدران المنزل ، كل الجدران فقدت لون طلائها الأخضر الجميل، وتحولت إلى اللون الأخضر القاتم القريب من اللون الأسود، كل النباتات التي كانت تعتني بها والدتي كل يوم وتسقيها ذبلت وماتت خلال يوم و ليلة، فسر والدي الأمر برطوبة زائدة ورداءة نوع الطلاء الذي أدت لتغير لونه، التجاهل جعلني أشعر بالوحدة لأول مرة، جعلني أبكي في صمت الأشباح، وحدث أن والدي كان يحمل الطفل الجديد ويسير به ذهاباً وإياباً في الردهة لينام عندما وجدت نفسي أنفجر في البكاء بطريقة أزعجتني أنا شخصياً وبالطبع أسرعت والدتي نحو الغرفة لتلقم الطفل السخيف ثديها عندما تعثرت في والدي الذي كان يتجه بدوره إلى الغرفة بذهول، حدقا في وجه بعضهما البعض في غير فهم، الطفل السخيف نائم وقد أسند رأسه المضحك الكبير الحجم إلى كتف والدي، وصوت البكاء قادم إليهما بوضوح من غرفتي، بالطبع عندما إقتحماها لم يشاهداني...

بحث والدي في كل ركن فلم يجد أحد، إلتمعت الدموع في عينيّ والدتي و هي تقول :

-لقد عاد ... (نور الله) قد عاد...

-نظر لها في غضب وقال:

-لقد سمعت البكاء مثلك، ويمكنني أن أتقبل أي تفسير إلا وجود الأشباح، قلت لك من قبل ألف مرة لا وجود لما يسمى بالأشباح.

لم أشعر بقسوته إلا في تلك المرة، كان ينكر وجودي تماماً ويصرخ في وجهها، فشعرت بغضبي يتضاعف وضربت بيداي اللعاب لأبعثرها امامه وأنا أصرخ...

تراجع إلى الخلف في ذعر...

واصلت الصراخ وأنا ألقي بالمقاعد أرضاً وأحطم المزهرية

وشعرت بغضبي يتضاعف أكثر وأنا أتقدم نحوه لأصيح :

-لماذا تتجاهلني دائماً؟ هل نسيتني تماماً؟

كان الذهول من نصيبي أنا تلك المرة، لأنني شعرت لأول مرة بأنني أتكثف وأظهر كهالة رمادية، وشعرت لأول مرة بإنهما يسمعان صوتي.

غطت والدتي فمها بكفها وهي تهبط على ركبتيها في شوق وتتطلع إلى هالتي الرمادية، والدي رأيت الدموع تطفر من عينيه وهو يمد نحوي كفاً مرتجفة ليقول:

-لقد أوحشتني....

و إهتزت كتفيه و هو يبكي بكاءً مراً ليواصل :

-لقد اشتقت لوجودك للغاية يا (نور الله) ... أوحشتني للغاية يا حبيبي.

تتساءل الآن عن مكان غرفة مكتب والدي؟

لقد نقل والدي مكتبه وحاسبه المحمول إلى غرفة النوم وحول غرفة مكتبه إلى غرفة أطفال جديدة، نقلوا (نور الله) إلى الغرفة الجديدة وتركوا لي غرفتي القديمة الحبيبة...

وقسمت والدتي وقتها بيني وبين (نور الله)، كانت تجلس بجواري كل ليلة لتقص علي قصة جديدة وتذهب إلى الغرفة الأخرى لتعتني ب(نور الله) الجديد.

كيف إستطاع (مأمون) الحصول على هذا الكتاب؟

لا نملك هنا إجابة دقيقة. ولكن الكتاب - والحق يقال - كان أخطر من أن يتحمل العالم وجوده .

من أين أتى هذا الكتاب؟

مازلت تصرُّ على طرح الأسئلة، هناك الكثير من الكتب تم دفنها في آبار سحيقة وقبور مطلسة منذ الأزل، خذ عندك مثلاً تلك الكتب التي يقال: أن المغول أغرقوها في نهر (دجلة)، هل أغرقوا كل الكتب التي كانت تقدر بالملايين والتي كانت تحويها مكتبة (بغداد) بالفعل؟

هل هناك إحتمال ضئيل أن هناك من أنقذ عدداً من تلك المجلدات قبل إقتحام المغول للمكتبة؟ وماذا عن كتب مكتبة الأسكندرية التي قيل أنها إحترقت عن بكرة أبيها؟ ماذا عن تلك الكتب التي أحترقت في محاكم التفتيش؟ تقول إنني قد أصبت بعدوى طرح الأسئلة. حسناً دعنا فقط نقول إن (مأمون) عثر يوماً على هذا الكتاب وشعر إن حياته قد إرتبطت به إلى الأبد، هناك من يقضون نصف عمرهم في البحث ولا يجدوا معشار ما وجد، كان على علم كامل باللغة (الأكادية) لغة (بابل) القديمة ولهذا إستطاع مع شيء من الصعوبة أن يفك طلاسم هذا الكتاب، ذلك الكتاب الذي كان عبارة عن موسوعة كاملة تحتوي طلاسم وطقوس من عدد كبير من الحضارات وبعدة لغات منها اللغة العربية والسريانية والأشورية، ولم

يصدق عينيه لأن ما قرأه كان خطيراً بما لا يقاس. وقف طويلاً أمام تلك العبارة التي عرف منها أنه يسير نحو هدفه بثبات.

"لن نتحدث عن تلك الكائنات التي تفضل البقاء في الظلام عن الظهور في الضوء، نحن لا نتحدث عن ملوك وزعماء قبائل الجن، ولن نتحدث عن الملائكة الساقطة و لا عن الشياطين ، لن نتحدث عن الكيانات القديمة، سنتحدث هنا عن روح الظلام، تلك الطاقة الصافية التي تحكم كل الطاقات المظلمة، تلك الطاقة التي تتغذى عليها كل قوى الظلام، روح الظلام الكامنة في كل مكان حالك السواد. الظلام له مادة مستقلة وتلك المادة لو تخللتك ستنال كل المجد، ستستطيع أن تكون أقوى الأقوياء، سيمكنك أن تتخلل عالم الجن والشياطين لتكون أول بشري يمكنه أن يصرع ويتلبس جنياً، روح الظلام يمكنها أن تحتويك داخلها لو أخطأت في التعامل معها، روح الظلام تستلبك طاقة الحياة ، عندما يسود الظلام الدامس يجب أن تتأكد إنها تطبق عليك فكيها، وكلما طالت مدة بقائك في الظلام الدامس ستفقد المزيد والمزيد من قوتك وستزحف على شعرك المزيد من ثلوج الشتاء، روح الظلام هي التي تتحرك لتطفئ النار ليلاً لأن الظلال التي تبعثها النار تبددها."

(مأمون) كان متعمقاً في دراسة الماورائيات ويعرف جيداً عما يتحدث كاتب هذا الكتاب،السير في هذا الدرب يجعلك ملوثاً تماماً وهذا الطريق له إتجاه واحد فقط، ما أن تتوغل فيه فلن يمكنك الرجوع أبداً، كان يعرف حقيقة تلك المادة اللزجة المتماسكة التي تميز الظلام الدامس، وكيف يمكن أن تهلكك لو إستسلمت لها؛ و لهذا كان يعيش دائماً في أماكن جيدة الإضاءة، ولا ينام إلا على ضوء كشاف مكتب يملأ الغرفة بالظلال، وقد حرص على تزويد المنزل بكشافات طوارئ، ومولد يعمل أتوماتيكياً عند إنقطاع الكهرباء، بالإضافة لمجموعة كبيرة من الشموع التي يعمل على تبديلها بإنتظام كل ليلة.

قلنا إنه خبير في تلك الأمور، فما الذي لفت نظره وشعر إنه من الممكن أن يغير طبيعة العالم كما نعرفه؟ لقد وجد الطريقة أخيرا

بعدما قام بفك شفرة رموز جزء باهت شبه مهترئ من الكتاب وكان ما ترجمه يقول:

......."-جزء مبهم ممحي..................

فهو بوابه إلى عالم آخر يفتح أمامك أفاقاً لا نهائية من القوة، ففيه تستطيع سحب روحانية الشر أو روحانية الخير، ولكن روحانية الشر بهذا التمرين مدمره للروح والجسد، وأنصح بشدة أن تستعمله في الخير؛ كي تحكم بقوة تمهيداً للسيطرة على أشياء أقوى، وبهذه الطقوس ستكون أنت الحاكم لروح الظلام، وطاقته باستخدام حروف الظلام السبعة(ف ج س ى ظ خ ز)، نضعها في طلسم ونرسمها على الأرض باللون الأسود، أولاً: نرسم دائرة سوداء كبيرة بحيث تحتوي جسدك، وأنت متربع داخلها، مكان منعزل أو في غرفة ليس فيها أثاث كثير، مظلمة بعيدة عن الضوضاء أو الأصوات الأخرى ليلاً ويفضل بعد الثانية عشرة ليلاً، و شرط الظلام الدامس ضرورة ، يجب أن تكون الخلوة بلا ظلال، نكرر يجب أن تكون الخلوة بلا ظلال، وبعدها يجب أن تنقش حروف الظلام السبعة حول الدائرة، وبعدها حول الدائرة، وحروف الظلام تقوم برسم ثلاث دوائر أخرى حولها بحيث يكونون بين كل دائرة وأخرى شبراً، ثم تقوم بتوزيع الحروف مرة أخرى عمودياً على محيط باقي الدوائر كما هو موضح بالرسم المصاحب، ثم تقول (مبطليا هيلة يهون علكولهون) وتجلس متربعاً على النقطة السوداء، وتضع أطراف أصابعك على الأرض بحيث تكون الذراع اليمين بجوار كتفك الأيمن، وأيضا ذراعك الأيسر يجب أن يكون بجوار كتفك الأيسر و بعد أن تسترخي وتقول:

-(ألألآه شامش و ألألاه أيا ومردوخ)، أمدني أيها الظلام بحق هذه الأحرف بطاقتك الإيجابية العالية، أمدد بها روحي وجسدي قوة حتى أتحكم بطاقه وسر الظلام.

تتخيل طاقة سوداء وتقول لعقلك أنها طاقة الظلام وهي تتخلل عبر أصابعك لتملأ جسمك وروحك.

كلها ولتعلم أن اللون الأسود ليس سيئاً، ولكن الناس من جعلوه كذلك، و هنا يجب أن تؤمن تماماً بأن روح الظلام تخرج من بوابه الظلام وتدخل إلى جسدك، بوابة الظلام قد أصبحت هي النقطة التي تجلس داخل محيطها، وتقنع نفسك إنك الآن جزء من الظلام والآن أنت تتحكم فيه الآن روح الظلام أصبحت في داخلك أنت الآن،

تنظر للظلام وللفراغ المتناهي وبعدها تقول لنفسك الآن أنا أصبحت أملك قلب الظلام...

أنا أتحكم بالظلام، أنا الظلام الآن أنا أمتلك روح الظلام، وأتحكم به وتقول الكلام هذا بثقة ومطمئن ولا تكلم نفسك بأي أمر آخر كل هذا يجب أن يستغرق منك ليلة كاملة حتى تستطيع ان تسيطر على الظلام وعلى مخلوقاته "

لقد وجد (مأمون) البوابة الذهبية التي ظل يبحث عنها عمراً كاملاً

سيتخلص من خوفه الدائم من الظلام، سيكون هو سيد الظلام و روح الظلام ذاتها، و لهذا إستجمع إرادته وبدأ يعدُّ العدة للطقوس ، تأكد من نوم إبنته الصغيرة وقام بإطفاء كل الشموع، وفصل التيار الكهربي تماماً، وتعطيل المولد الإحتياطي وكل كشافات الطوارئ إلا كشافاً واحداً ألقى حوله العديد من الظلال التي طمئنته مؤقتاً، بدأ يرسم الدوائر المتحدة المركز بطلاء أسود سريع الجفاف، وبدأ في نقش الحروف، كان ممارساً محترفاً لتلك الطقوس السوداء وإن كان لم يمر بشيء بمثل هذه القوة من قبل، ثم أغلق الكشاف حتى يكتمل الشرط الأخير لتلك الطقوس.

الظلام الدامس المسطح الخالي من الظلال

الظلال الدسم النقي الذي تشعر بكثافته، و تشعر إنك تتنفسه من الهواء.

التعاويذ كلها في ذاكرته وها هو يرددها برغم معرفته بإنه يستعين فيها بقوى وثنية مما يدخله في دائرة الشرك.

سيخضع له عالم الظلام.

سيكون سيداً مطاعاً على عالميّ الإنس و الجن.

ولكن ما حدث قرب النهاية لم يضعه في الحسبان.

إستيقظت (ضي) طفلته الصغيره لتجد نفسها تسبح في الظلام فقامت بما علمها والدها، وبحثت عن الكشاف الصغير الذي كان والدها يضعه بجوارها كل يوم، ولكنها لم تجده ولم تكن تعلم إن والدها قد إحتاط لذلك، وأخفى الكشاف ولكنها كانت قد أعدت خطة صغيرة للطوارئ لم تكن أخبرت بها والدها، بحثت بيدها الصغيرة عن تلك الشمعة التي أخفتها أسفل الفراش، و وجدتها هي و علبة الثقاب، أشعلت الشمعة بيد ثابتة غير هيابة وخرجت للبحث عن والدها.

وجدته جالساً داخل محيط تلك الدائرة السوداء...

شعر بدائرة الضوء تقترب ورأى تلك الظلال التي بدأت تتكون على الجدران حوله، فشهق في رعب وهو يلتفت تجاه إبنته التي قالت ضاحكة:

-أبي ، ماذا تفعل؟ أهي لعبة جديدة ؟

شعر وقتها بإن جسده ينسحق سحقا ورأي كتلة الظلام تتلوى حوله لتبتلعه. (ضي) الصغيرة فوجئت بإختفاء والدها فضحكت لتقول :

-إنها لعبة الغميضة إذن...

وبحثت عنه في تلك الليلة كثيراً جداً وبلا فائدة فالذي لا تعرفه إنه فشل في إحتواء روح الظلام، فاحتوته هي داخلها وصار كابوساً جديداً يعيش جلّ ما بقي له من حياة متحداً بكتلة الظلام العظمى ليثير الرعب الخالد من الظلام في القلوب.

المتطوع

-هل أنت متأكد من قرارك يا (رائف)؟ يمكنك أن تتراجع الآن و تنسى الأمر وكأنه لم يكن.

تطلع رائف إلى الخوذة التي تحولت إلى شبكة متداخلة من الأسلاك والألياف الضوئية، ودار ببصره في مئات الوجوه التي بدا عليها مزيج من القلق والتوتر والحماس، حتى إن رائحة الأدرينالين قد فاحت من أجسادهم لتفعم المكان وتأمل الكاميرات التى تحمل شعارات عشرات القنوات الفضائية المصرية والعالمية ليقول مبتسماً:

- لن أتراجع الآن والعالم كله يراقبني كبطل إنها فرصتي الوحيدة

بادله البروفيسور (ناصف) الإبتسام وثبت الخوذة إلى رأسه.

***

-(رائف مدكور) خريج كلية تجارة دفعة ٢٠٢٤.

رمقني متفحصاً وهو يتأمل أوراقي الرسمية ليقول:

-دفعة ٢٠٢٤ وأنت من مواليد ١٩٩٢ ......؟

-لقد إستغرقت مني الدراسة في الكلية عشر سنوات حتى حصلت على مؤهلي.

-هل تجيد أية لغات أجنبية.

-لا.

-هل تجيد التعامل مع الحاسب الألي ؟

-لا...

-هل تمارس أي نوع من الرياضة ؟

-لا

-ما هي هواياتك ؟

-لا توجد لدي هوايات ؟

-ما هي وظيفتك الحالية ؟

-أعمل (كاشير) في مطعم.

نقل البروفيسور (ناصف) عينيه بين أوراقي، وبين ملامح وجهي الذابلة القلقة و مال نحو زميل له ليقول:

-إختبارات الذكاء تقول إنه متوسط الذكاء، لقد وجدنا رجلنا. وإلتفت نحوي وشد على يدي مصافحاً وهو يقول:

-مبروك...أنت معنا في المشروع يا بطل، الإنسانية كلها ستسجل إسمك بحروف من نور.

***

تسير بين الجموع مرتدياً وجهك،الذي أصبحت تزهد النظر إليه في المرآة، تسير بين الجموع التي تتحرك كقطعان الزومبي من مكان إلى مكان، وقد عكست ملامحك خواطرك السوداء التي تدور في ذهنك والتي تكاثرت في الأونة الأخيرة، وتلاطمت مع بعضها البعض لتندمج في كيانات بلا معالم حتى إنك نفسك أصبحت أحياناً لا تعرف سبب إكتئابك ووجومك.

تسير و تحاول أن تتفادى خطوات الرجل الذي يسير في خطوات أشبه بالعدو، وقد ثبت بكتفه هاتفه المحمول إلى أذنه فبدا أشبه بالمعاقين، ولكنك تفشل في تفاديه فيدهس قدمك بخفه الثقيل ولا ينتبه ولا يلتفت إليك معتذراً، سنواتك العديدة التي قضيتها في كلية لا تحبها ولا تحبك أتت ثمارها أخيراً، ووجدت وظيفة تغنيك عن تقريع والدك المستمر لك لجلوسك في المنزل عاطلاً بلا عمل، وظيفة (الكاشير) التي تستعبدك وتجبرك على الجلوس لمدة إثنتي عشرة ساعة خلف ماكينة النقود، ولا يسمحون لك إلا بنصف ساعة راحة لتناول

وجبة غذاء شحيحة، مقابل جنيهات معدودة يأكلها التضخم بشراهة، تدور كالثور الأعمى في ساقيتك الخاصة لتنتهي من فترة العمل (الشيفت) وقد إستنزفوا منك عصارة الحياة، وألقوا بك إلى الشوارع التي نسيت نصف معالمها، وزهدت في النصف الآخر لتعود إلى الأريكة التي تحتل ركناً من غرفة المعيشة والتي صارت ملاذك الليلي منذ الطفولة، تتناول وجبة عشاء من يد أمك التي تربت كتفك متعاطفة في حنان، وتستسلم لنوم تحلم فيه بالإختلاف ، تحلم فيه بالتميز، فهم يوزعون الأحلام مجاناً حتى الآن، أنت رئيس مباحث العاصمة في حلم ليلة الخميس الماضي حيث تضع خططاً عبقرية للإيقاع بأعتى المجرمين، وأنت بطل فيلم (الجبابرة) الذي ينتهي وأنت تقبل البطلة قبلة ساخنة تستمر لخمسة دقائق حتى ظهور كلمة النهاية، وفي حلم الليلة قرروا أن يجعلوك عالماً متخصصاً في الجينات تنقذ البشرية من مرض قاتل. تختلس صباحاً نظرة إلى العناوين الرئيسية لجريدة الصباح التي يطالعها والدك؛ لتجد عنواناً يتحدث عن أمل البشرية للشفاء من الجنون، تقترب بوجهك من الجريدة، و يلاحظ والدك أنفك الذي أصبح على بعد سنتيمترات من وجهه فيضرب كفاً بكف و يحوقل ويلقي بالجريدة ساخطاً.

"البروفيسور (ناصف حمدون) يتوصل إلي المعادلة الكهربية التي ستخلص العالم من مصطلح (الجنون) إلي الأبد ولقد حقق كل المعادلات على الورق و يحتاج متطوعا لبدء الشق التجريبي من التجربة"

***

-لقد أفنيت سنوات عمري الستين في دراسة التخطيطات الكهربية لكل مرضى الذهان، الذي يطلق عليه العامة الجنون، قمت بتغذية الحواسب الضوئية الفائقة بكل المخططات الكهربية والمغناطيسية لمرضى الوساوس والضلالات والفصام وجنون الإضطهاد والكتاتونيا ... إلخ...وتوصلت إلى المعادلة الرياضية التي لو إستطعنا إعادة الإتزان لطرفيها لبرئ كل مرضى الذهان وعاد الإستقرار إلى عقولهم، ولكننا

نحتاج إلى متطوع ذي معدل ذكاء متوسط، لا نريده ذكياً ولا غبياً لأننا نريد التحرك في حدود المرجع المتوسط لكي لا نؤثر على إتزان المعادلة، سنقوم بعمل وصلة كهربية بين عقل المتطوع و بين المريض الذي سيوقع ذووه على موافقة بخضوعه للتجربة، وعن طريق الحاسب الفائق سيتم الحصول على تخطيط كهربي للمتطوع وإستخدامه لضبط التخطيط الكهربي للمريض، وبما إننا سنقوم بعملية نسخ وليس نقل للشحنات الكهربية؛ فسيضمن لنا هذا سلامة المتطوع السليم، أعرف أن الأمر خطير ولكننا سنتحرك بمعاونة الكمبيوتر الضوئي الفائق، ولهذا سنتحرك و نحن نسير على أرض قوية، أعرف أننا طلبنا متطوعين منذ ما يزيد عن الشهرين، ولم يتقدم لنا أحد ولكنني لن أفقد الأمل، وقطع عبارته عندما دق مساعده باب غرفة الإجتماعات ليقول مبتسماً :

-لدينا متطوع يدعى (رائف مدكور).

***

(رائف) نائم والخوذة تغطي رأسه تمتد منها عشرات الأسلاك والألياف البصرية؛ لتتصل بالحاسب الضوئي العملاق، الذي تمتد منه كابلات مشابهة لتتصل بخوذة أخرى مثبتة على رأس المريض موضوع التجربة ، و د(ناصف) يقول:

-التخطيط الكهربي الواضح أمامكم هو التخطيط المرجعي لمتطوعنا البطل (رائف) وكما ترون قراءات نمطية متكررة تميز متوسط الذكاء البشري، و على الجانب الثاني من الشاشة ستجدون أربعة تخطيطات كهربية تميز الشخصيات الفصامية الأربعة التي تتصارع داخل عقل مريضنا الذي نطلق عليه (الحالة أ)

الحالة (أ) مريض إنفصام في الشخصية **multiple personality)** **disorder**)منذ عشرة أعوام وقد وافق ولي أمره على خضوعه للتجربة. طيلة عشر سنوات وهو يعيش مشتتاً بين شخصيته الأساسية، وشخصية رجل شرطة محترف، عرفنا إنه إقتبسها من عمه وشخصية

ثالثة ظهرت منذ خمس سنوات، وهي شخصية والدته التي توفيت منذ ثلاثة سنوات، وهي تقوم بعملية فك الصدام بين شخصيته الأساسية، و شخصية عمه الصارمة ومنذ سنتين ظهرت شخصية مدرس رياضيات متعقل عرفنا أنه؛ إقتبسها من مثله الأعلى أثناء دراسته الثانوية قبل ظهور أعراض الفصام عليه.

و صمت قليلاً ليقول:

-هدفنا الآن تحويل تلك المسارات الكهربية الأربعة إلى مسار واحد وسنستند إلى التخطيط الكهربي لعقل بطلنا (رائف)، نظر الكل إلى البروفيسور الذي بدا كأحد ألهة الرومان القدامى في وقفته و شموخه وثقته، المنحنيات الأربعة بدأت تندمج أمامهم، تحولت إلى ثلاثة منحنيات ... والثلاثة منحنيات تحولت إلى منحنيين.

الكل يتابع الحالة الصحية والأنشطة الحيوية لموضوعيّ التجربة...

المنحنيات إندمجت في منحنى واحد، دوت موجة عارمة من أصوات التصفيق وصيحات النصر...

-بروفيسور...هل الشخصية التي تبقت في النهاية ستكون الشخصية الأصلية ل (الحالة أ).

-لا يمكن أن نضمن هذا، فالمراجع تسجل حالة حقيقية تمت معالجتها في فيلم سنيمائي شهير إسمه (ثلاثة وجوه لحواء)، المريضة كانت تحمل شخصيتها الأصلية (إيف وايت) وشخصية فصامية قوية تدعى(إيف بلاك) وشخصية متزنة هي شخصية معلمتها التي تدعى(مس جين)، بعد نهاية جلسات العلاج تبقت شخصية (مس جين) وعاشت بها الشخصية طيلة حياتها.[1]

بدأت عملية الإنعاش تتم لموضوعيّ التجربة والبروفيسور يقول في حماس:

---

[1] حالة حقيقية تم تسجيلها في مراجع الطب النفسي و تم تحويلها إلى فيلم شهير بإسم three Faces of eve

-نحن نضع أقدامنا على أول طريق المجد يا سادة، لن نترك أي مريض ذهان ليتعذب طيلة حياته في مصحات مغلقة.

جاءه صوت مساعده يقول في قلق:

-(رائف) لم يعد من رحلته بعد، لا يستجيب لبرنامج الإنعاش حتى الأن.

بدا القلق على وجه البروفيسور و هو يقول:

-متوقع ...كل شيء متوقع، منحنياته الحيوية سليمة، سيعود إلينا فوراً و لكن دعونا نستقبل (الحالة أ) فها هو قد بدأ يستعيد وعيه.

كانت الكاميرات تنقل إلى العالم كله وجه المريض الذي بدأ يعود للوعي وإستوى جالساً على مقعده ليبتسم في ثقة وهو يتطلع إلى الكاميرات.

إقترب منه البروفيسور ليقول في رفق :

-كيف حالك الآن؟ هل ترغب في التفاعل معنا؟ أم تريد أن تستريح قليلاً ؟

إبتسم وقال في سعادة:

-هل نجحت التجربة يا بروفيسور؟ هل عرف العالم كله إنني قد صرت بطلاً ؟ هل أبلغتم أبي إنني قمت بشيء مفيد أخيراً في حياتي؟

تراجع الجميع في ذعر وذهول عندما تحدث (الحالة أ) والبروفيسور يقترب منه و يقول في خوف:

-إلى من نتحدث؟ من أنت؟

دار بعينيه في حيرة في وجوه الجميع قبل أن يقول في دهشة :

-أنا (رائف مدكور) يا بروفيسور (ناصف) ماذا هناك؟ لماذا تحدقون في وجهي هكذا؟ هل نجحت التجربة؟

Writer's Block

-أن الزواج من كاتب روايات هو كابوس لا ينقطع، يجب أن تفكر الفتاة جيداً قبل أن تقبل الإرتباط بكاتب...

تضحك (ولاء) وتضرب ظهر كفها بيدها وتقول:

-و لماذا لم تنصحي نفسك تلك النصيحة؟

-ومن قال إنني قبلت الإرتباط به وهو كاتب؟ عندما تقدم لخطبتي كان مصمم جرافيك محترف في مكتب دعاية كبير، ولم تكن جرثومة الأدب قد تمكنت منه بعد، كان يكتب كهاوٍ مجموعة من القصائد المتحررة من قواعد الوزن والقافية يصف فيها حبه وغرامه، وكتب قصتين قصيرتين أو ثلاثة فقط، لم أكن أعرف وقتها إن الجرثومة قد بدأت تجد لها طريقاً إلى خلاياه، وظل الأمر في إطار الهواية، يكتب قصة كل شهرين ويجعلني أقرؤها فقد كنت أنا جمهوره الوحيد.

-متى بدأتِ تشعرين بالخطر؟

تأملت(فاتن) أظافرها الطويلة الملونة بالأزرق، ولعقت شفتيها بلسانها لتقول:

-بدأ الأمر عندما عندما تغيرت نظرته التي كان يراقبني بها بعد سنة من الزواج...

وقطعت عبارتها و هي تضحك في دلال لتكمل:

-كان لا يفارقني بعينيه، يكاد يأكلني بهما وأنا أتحرك في الشقة ذهاباً وإياباً، ولكن فجأة شعرت بأنني قد أصبحت شفافة تماماً بالنسبة له، كان ينظر إلي كلوحِ زجاج شفاف، أصبح دائم الشرود

وكثيراً ما كان يرفع ملعقة الطعام إلى فمه، و يظل على هذا الوضع لفترة قبل أن يترك مائدة الطعام، و يسرع نحو مفكرة صغيرة ليخط فيها بقلم متعجل عدة سطور، وقتها عرفت إنه قد بدأ يكتب أول رواية طويلة في حياته....

راقبت (ولاء) نظرة صديقتها لشاب متناسق الجسد، ذي عضلات مفتولة وهو يرفع ذراعيه مستعداً للقفز في حمام السباحة وقالت في صوت حالم:

-لقد صار زوجك الآن كاتباً مشهوراً وأصبحت رواياته ملأ السمع والأبصار، هل أنت سعيدة ؟

قفز الشاب قفزة إحترافية جعلتها تصفق بيديها وهي تشير نحوه لتقول :

-هل رأيت مدى مهارته؟ إنه مدرب إبني (ميدو).

ضحكت (ولاء) لتقول :

-لاحظت أنك هربتِ من السؤال؟!

رمقتها بنظرة عجيبة و همست:

-سعيدة ... سعيدة جداً طبعاً.

عندما تعود من النادي بصحبة (ميدو) يكون (صفوت) قد إستيقظ من النوم؛ فقد قدم إستقالته من مكتب الجرافيك وتفرغ للكتابة، كان واقفاً بملابسه الداخلية خلف مائدة الطعام التي حولها إلى مكتب له يمسك بالقلم بيمناه وب كوب القهوة المركزة بيسراه ودخان سيجارته التي تركها معلقة بجانب مطفأة السجائر يفعم جو الشقة برائحتها الخانقة.

تقدم (ميدو) ليقبل والده و قبلها على جبينها في روتينيه و هو يقول:

-(فاتن) ... يجب أن تشتري مزيداً من البن، لم تعد نفس الكمية تكفي .

تأملت عدد الأكواب الفارغة الملوثة ببقايا القهوة لتقول :

-أنت صرت مستهلكاً شرهاً للقهوة، لقد صرت تتناول عشرين فنجاناً يومياً ... ما الذي حدث؟ و لماذا تقف بملابسك الداخلية ؟

كان يسجل عدة كلمات على الورق ليقول :

-هل تعرفين معنى مصطلح (سدة الكاتب) أو(writer's block) ؟

هزت رأسها نافية و هي تجمع أكواب القهوة الفارغة...

تحرك نحوها وأمسك يدها وهو يجلس على مقعد حول المائدة وجذب لها مقعداً لتجلس مواجهة له وهو يقول:

-هناك فترة من الركود والبوار أعاني منها منذ أسبوع، قلمي لا يطاوعني وأفكاري متجمدة، ومنذ إسبوع كامل وأنا أنطح الصخر بحثاً عن حل لعقدة في روايتي ولم أجده، أجلس بالساعات أمام الورق خاوي الذهن كهاتف محمول فرغت بطاريته، وينتظر إعادة الشحن، تجدينني أجلس لأحدث نفسي وأتساءل كيف كنت أجلس ولا أنقطع عن الكتابة لساعات عديدة...

نظرت إليه في دهشة فهي لم تعتد أن يحدثها أكثر من جملتين في اليوم منذ سنتين...

-و لماذا تجلس بدون ملابسك ؟

-لقد وضعتها كلها في حوض الإستحمام لكي أجبر نفسي على عدم الخروج من المنزل كما كان يفعل (فيكتور هوجو)، سأجرب كل الخدع التي كان يمارسها الكتاب الكبار لإستمطار الإلهام.

-و بالنسبة للقهوة التي صرت تحتسيها كالماء يومياً ؟

-شيء منطقي يا (فاتن) إنها طريقة (بلزاك) و (فولتير).

كانت تراقبه يوماً بعد يوم و عصبيته تزداد وأطواره تزداد غرابة، صار يتطلع إليها طويلاً في صمت، وعيناه تحملان نظرة عجيبة لم تلمحها منذ سنوات، تعتزله في غرفتها لتقضي وقتها على مواقع التواصل الإجتماعي و(ميدو) يجلس بجوارها يلعب بألعابه، تحمل له قهوته السادة ثقيلة البن وتقف عن بعد لتراقبه، كان مستلقياً على ظهره بجوار الفراش يحمل الورق بيساره محاولاً الكتابة بقلمه في وضع معقد، جلست بجواره لتربت على كتفه، وفي عينيها تساؤل صامت...

فيعتدل جالساً و يقول موضحاً:

-(جورج أوريل) و(مارك توين) كانا كتاباً أفقيين، كان الإلهام يأتيهما وهما مستلقيان على ظهريهما.

كانت تشعر مؤخراً بشعور جارف بالذنب تجاهه، جعلها تلتصق به لتقول في خفوت :

-كنت تستشيرني قديماً في عقد رواياتك ، دعنا نعود إلى الخلف عدة سنوات، تحدث...ما هي المشكلة ؟

نظر إلى عينيها ليقول في خفوت :

-بطل الرواية الجديدة (فارس صفوان) عنده إحساس خفي بأن (نسمة) زوجته تخونه...

تأملته في غير فهم للحظات، قبل أن يكمل:

-هي حريصة للغاية ولا يستطيع إثبات خيانتها حتى الآن، مشكلتي إنني لا أعرف حتى الآن كيف أجعله يكتشف خيانتها، تلك هي سدة الكاتب التي تكاد أن تقتلني، هل تستطيعين مساعدتي؟ هل يمكنك أن تدليني على طريقة يستطيع بها أن يكتشف خيانتها ؟

تأملته عن قرب لأول مرة منذ شهور...

شعيرات دموية عديدة سكنت بياض عينيه وخصلات كاملة من شعره قد زحف عليها ثلج الشتاء، وتجاعيد عديدة أحاطت بجانبي عينيه.

-إن الكتابة تستهلكك يا حبيبي، هون عليك، أترك الكتابة لفترة... و قد يأتيك الحل طواعية بعد أن تتوقف عن التفكير...

عندما قصصت ما حدث على (ولاء) إنفجرت ضاحكة في عبث وقالت :

-وهل طرقت ربات الإلهام بابه أم لا يزال يتخبط وسط جنونه وشروده ؟

أشعلت (فاتن) سيجارة و هي تلوح بكفها لتقول:

-الإسبوع الماضي دخلت لأجده وقد ملأ سطح المائدة بالزهور الصفراء ووقف عاري القدمين داخل إناء كبير ممتلئ بالماء ومكعبات الثلج...

ضحكت (ولاء) و ضربت كفاً بكف لتقول :

-لقد إقترب للغاية من قميص الأكتاف، ما الذي يحدث ؟

رفعت كفها و بدأت تعد على أصابعها:

-(جابريل جارسيا ماركيز) كان يأتيه الإلهام بجوار مزهريات مليئة بالزهور الصفراء، و(تشارلز ديكنز) و(فرجينيا وولف) كانا لا يمارسان الكتابة إلا وقوفاً، بينما كان (شيلر) يكتب واضعاً قدميه في دلو مليء بمكعبات الثلج.

عندما عادت إلى المنزل في عصر ذلك اليوم كان جالساً يكتب بحماس على غير عادته، كان شارداً فلم ينتبه لإقترابها...منعت (ميدو) من الإقتراب من والده وراقبته لفترة قبل أن يرفع بصره نحوها ليقول:

-إنتهت السدة يا (فاتن) ولقد توصلت إلى فك العقدة، أخيراً وصلت إلى الطريقة البسيطة التي سيكتشف بها البطل خيانة زوجته التي لا أعرف كيف راوغتني حتى تلك اللحظة، واقترب منها ليحدق في عينيها ليقول:

-سأخرج إلى الشرفة لأدخن سيجاراً فاخراً إحتفالاً بنجاحي.

قالها وخرج إلى الشرفة، فتابعته بعينيها قبل أن تتناول الأوراق في فضول وتطالعها لتتسع عيناها في خوف وتتحرك نحو غرفتها لتتناول هاتفها المحمول الضخم وتعبث بشاشته، وشهقت عندما فوجئت به خلفها يتناول الهاتف و يتأمله ليقول:

-كان يجب أن أفكر في فحص سجلات تطبيق (الواتس آب) منذ البداية.

قبل السقوط

هل سبق لك أن مررت بتلك اللحظة التى أمر بها ؟

ها هو الكون يتجمل حولك بالكامل ، الطقس قد تحسن فجأة، و قررت الشمس أن تمنحنا راحة مؤقتة، كنوع من الإعتذار عن الجحيم الذي ظلت تصبه نقياً على رؤوس العباد، وعلى طبقة الأسفلت المتداعية حتى كادت أن تذيبها، هبت نسمات لطيفة من جهة النيل داعبت الوجوه، ورأيت تلك الفتاة الحسناء ذات الثوب الوردي تتوقف لتغلق عينيها، وتستنشق الهواء الرحيم، لتنظر السماء الصافية وتثني عنقها الطويل إلى الخلف مستمتعة، وشعرها الأسود الطويل يتناثر حول وجهها الصبوح. والعجيب أنها لاحظت نظراتي إليها فلم تجفل بل إبتسمت في مرح قائلة :

-أغسطس يعتذر لنا قبل رحيله.

جاوبت اللؤلؤ الذي كشفت عنه إبتسامتها، بإبتسامة شحيحة وواصلت طريقي، قوى الكون الناعمة تتحالف ضدي لتقنعني بالعدول عما قررت وإنتويت.

-هل ستفهم (سلوى) تلك الرسالة التى تركتها لها مثبتة على باب الثلاجة ؟

هل ستلمحها بعد عودتها من العمل مباشرة؟ أم بعد أن تفرغ من إعداد وجبة الغذاء، وهي تترنم بأغاني (حنان ماضي) القديمة التي تعشقها. (حاتم) كان ناعماً كالثعبان ومقنعاً كالشيطان، وهو يناقشه في الأمر، و يثبت له بالبراهين أن الأمر سيمر كقطرة زيت على سطح

أملس، و ستكون آخر ضربة وبعدها سيؤسسون شركتهم الخاصة، وكان عليه أن يوقع تلك الأوراق وعندما تدفق فارق السعر، وحان وقت تسديد الخانات الشاغرة ، بحث عن (حاتم) فوجده قد تبخر والنقود كلها معه؛ ليحدثه من خارج البلاد ويطلب منه أن يلحق به وها قد دارت الدائرة و لم يعد هناك مهرب .

لقد قضى بغباءه على كل شيء بضربة واحدة. كوبري قصر النيل يقترب وتقف تلكم السباع المهولة تثير الخوف في قلبه كلما مر بها، وهو هذا الإحساس الذي شعر به لأول مرة، عندما شاهدهم برفقة والده عندما كان في السابعة من عمره، سيصير شبحاً حاقداً وسيلاحق (حاتم) إلى أقصى الأرض ليثير الرعب في قلبه حتى الموت...

-(عمرو) ... أيها الملعون ...وصوت ضحكة عالية...

سمع إسمه فإلتفت إلى الخلف.

لقد رأي هذا الوجه من قبل ، تلك الملامح المنفرجة والفك العريض ولكن هناك خطأ ما.

إقترب منه ذلك الشاب محتفظاً بإبتسامته وهز رأسه في لوم وهو يقول :

-لقد نسيتني أيها النذل، أعرف أنها خمسة عشر عاماً أطاحت بكل شعر رأسك تقريباً وملأت وجهك بالتجاعيد.

كنت في حالة لا تسمح بالمزاح والخلاص يبدو واضحاً على بعد عدة أمتار ولكنني بدأت أتذكر...

الكلية وصعلوك الجامعة ومهرج الدفعة و لكن...

...إقتربت منه في غير تصديق.

-(مدحت الدهان) ... لم أعرفك للوهلة الأولى أيها المهرج...

ذابت السنوات مع حرارة العناق وتبادل الضربات على الكتفين مع الذكريات، وجدت نفسي أجلس معه على رصيف الكورنيش الحجري.

-هل بعت روحك للشيطان يا رجل، السنوات لم تخدشك خدشاً واحداً وقد إزددت وسامة وسحراً.

ضحك كثيراً وأشعل سيجارة أجنبية ذات رائحة عطرية ليقول:

-الأمر أكثر عمقاً من بيع الروح يا صديقي، لقد عشت حياتي كفئران الحفر حتى عثرت على طاقة القدر.

تطلعت إليه في دهشة وكدت أن أسبه بأمه، ولكنه أشار إلى وجهه ليقول:

-قبل أن تسخر أو تسب، هل هذا هو وجهي الذي عهدتني به؟ هل هذا هو جسدي الذي كنتم تسخرون منه دائماً ؟

إنتبهت أخيراً لما أثار دهشتي عندما رأيته، الجسد النحيل يمكن معالجته بإكتساب المزيد من الوزن وممارسة رياضة ما، ولكن الوجه، أين ذهب أنفه المدبب العجيب وذقنه المثلثة وشعره الذي كان يشبه شبكة من السلك الخشن؟!، لقد صار وسيما! كأبطال السينما...

ملت نحوه وقلت في شغف:

-عما تتحدث يا (مدحت) لا تعبث معي،فلن أحتمل، أنا في حالة سيئة أكثر من كل تصوراتك...

تطلع إلي متفحصا! و هو يقول:

-ماذا بك؟ تبدو في أسوء حال، ماذا حدث لك يا (عمرو) ؟

-تحدث أرجوك، ماذا تقصد بطاقة القدر، تحدث...

-لو جعلتك تتطلع على الوسيلة التي يمكن أن تحقق بها كل أمنياتك ، هل أنت مستعد لدفع الثمن ؟

-مستعد لأي ثمن.

عقد ساعديه أمام صدره ليقول في صوت قوي رنان:

-كان يجب أن أتجسد لك في صورة أحد معارفك حتى تقبل أن تجلس لتتحدث إلي...

تراجعت للخلف وأنا أتطلع إلى قامته التي خيل لي أنها صارت أكثر إرتفاعاً وقلت في صوت مرتجف :

-من أنت ؟

وجدته قد صار أمامي فجأة ليضع كفين ثقيلتين على كتفي ويقول :

-هل تعتقد إنك إلتقيت فعلاً بصديق قديم صدفة وأنت في طريقك للإنتحار ؟

شعرت بالثلج يكسو أطرافي وكدت أن أفقد السيطرة على مثانتي وأنا أقول :

-أنت الشيطان والعياذ بالله...

ضحك وهو يلقي برأسه إلى الخلف وقال :

-تستعيذ بالله من الشيطان وأنت مقدم على الموت كافراً والهرب مما فعلت كالجبناء؟

تستعيذ بالله من الشيطان وأنت في طريقك لتسبب لزوجتك فضيحة وجرحاً لن يفارقها طيلة عمرها ... وصمت قليلاً ليقول :

-إطمئن ... لست من تظن، لقد شهدت تلك المنطقة عشرة حوادث إنتحار خلال العام الماضي، وكان يجب أن يتوجه أحدنا إلى هنا

لنساعدكم، لو كنت على شيء من الإطلاع والثقافة لكنت سمعت عن رجل العث([1]) (Mothman)، نحن لا نختلف عنه إلا قليلاً، خيل لي أن عينيه تلتمعان بلون أحمر مما زاد من خوفي وقلت متراجعاً:

-ماذا تريد مني؟

-يجب أن أوجه لك أنا هذا السؤال، ماذا تريد مني؟ من حقك طلب أمنية واحدة فقط.

هتفت في لهجة هي مزيج من اللهفة والخوف وعدم التصديق :

-ستحقق لي أية أمنية...

-هل تريد أن أحضر لك (حاتم) إلى هنا لتقتله؟ أم تريد المليون جنيه التي كشفت اللجنة إختلاسك لها ؟

نظرت إلى عينيه الحمراوين لأقول :

-سأخبرك بأمنيتي ... أريد أن أعود إلى اللحظة التي ضعفت فيها وأطعت فيها الشيطان (حاتم) والتي بدا بها كل الدمار...

***

كان (حاتم) يقول بلهجة معسولة :

-العملية ستحتاج توقيعك على تقارير فحص الخامات وكل ما سنغيره هو نسبة تركيز الخام في العينات، و لن يمكن لأحدهم أن....

قطع عبارته عندما إرتطمت قبضتي بعظم فكه كالقنبلة، وتبعتها بلكمة أخرى عانقت عظام وجنته البارزة، ودفنت ركبتي بين ساقيه

---

[1] تتحدث الأساطير الحضرية عن كائنات مجهولة تظهر بالقرب من أماكن الكوارث لتحذر السكان منها و من الأوصاف التي ذكرها شهود العيان الذين إلتقوا به تم إطلاق رجل العث (Mothman) على تلك الكائنات.

ليشهق في ألم جم قبل أن يتكور على نفسه أرضاً، تركته وإتخذت طريقي إلى منزلي...

و عندما فتحت الباب ودخلت بهدوء سمعت صوتها الجميل:

وكان ... وكان ... وكان

أولاد وبنات جيران...

وف شارع كان بعيد

وكان اليوم ده عيد

مسكنا إيد في إيد حاسين الكون أمان.

جريمة كاملة

إنتهى (صلاح) من تدريباته الرياضية العنيفة بإستخدام عدة أوزان مختلفة من الأثقال الحديدية، في الغرفة التي خصصها لذلك في الفيلا، وتحرك ليقف أمام المرآة التي تحتل نصف جدار من جدران الغرفة؛ ليشد عضلاته المفتولة ويستعرضها في عدد من الأوضاع المفضلة لممارسي رياضة كمال الأجسام، كان راضياً تمام الرضا عن نفسه، ومظهره الذي يسعى دائماً للحفاظ عليه، هو لا يملك أصلاً طيباً، ولم يولد لأسرة ميسورة الحال لتترك له هدية القدر الذهبية المسماة بالميراث، تعليمه متوسط المستوى، وعندما عرضوا عليه مهنة مندوب المبيعات كان عليه أن يقبلها بدلاً من البقاء جلوساً على المقاهي للإستمتاع بالبطالة، حتى جاء هذا اليوم الذي طرق فيه وجلاً بوابة هذه الفيلا ليلقي لسكانها بما في جعبته من عروض مخفضة على فلاتر المياه ، وكان يجب أن يلتقى ب(ثريا). تحرك بسرواله القصير نحو الحمام الكبير، وقد إلتمعت عضلاته بحبات العرق؛ ذلك المشهد الذي يعرف تأثيره جيداً على أعصاب (ثريا)، كانت جالسة في غرفتها تتصفح مجلة من مجلات الموضة البلهاء عندما لمحته لتترك المجلة و تهتف به:

-(صلاح) أريدك بجواري قليلاً...

كان يعرف معنى تلك النظرة التي تعربد في عينيها، فلقد رآها أول مرة عندما دعته لداخل الفيلا، وجلست تستمع إليه وهو يبيع لها الوهم، ويحلل لها مياه الصنبور العادية بجهاز تحليل كهربي لتطفو طبقة خضراء زنخة على سطحها، ويقارن لها بين ما تشربه من

الصنبور وما ينتجه الفلتر من مياه نقية، لم يصدق نفسه عندما انتبه؛ أن مالكة الفيلا تتظاهر بمواصلة الإستماع إلى التفاصيل المهولة للفلتر، ولكنها في الحقيقة تتفحص بشغف كل ملامح وجهه الوسيم وكل عضلة من عضلات جسده المفتول، وعندما حضر لتركيب الفلتر فاتحته بالعرض الذي لم يتخيله، عرضت عليه الزواج فالأرملة الأربعينية كانت في أمس الحاجة لمن يروي فروعها التي جفت منذ سنوات.

جلست بجوارها فتحسست عضلاتي بأناملها وهي تقول :

-لقد أرهقت نفسك كثيراً تلك المرة يا حبيبي.

قالتها وعانقته لتدفن رأسها بين كتفه وعنقه كالقطة لتقول في نعومة:

-أعشق قوتك، هل ما زلت تحبني يا (صلاح)؟

همس في أذنها:

-سأثبت لك عملياً إنني ما أزال أحبك، ولكن بعد أن أستحم وبعد أن تنالي حمامك المعطر الذي سأجهزه لك، فأنا أعشقك برائحة البنفسج. إستمتع بحمامه وبدأ في تنفيذ خطته، كل ما استلزمه الأمر هو قطعة صغيرة من الثلج وضعها أسفل ماكينة الحلاقة الكهربائية على نحو خفي على الرف الرخامي المخصص لأدوات الحلاقة، وفرش الأسنان المثبت فوق حوض الإستحمام، (ثريا) تقف أمام مرآة غرفة النوم الضخمة تنتزع دبابيس شعرها، وهي ترتدي روب الإستحمام إستعدادا لحمامها المعطر ،(ثريا) التي تظاهرت طيلة سنوات زواجهما الخمسة السابقة بالبراءة، ولكنه كان يعرف إن كيانها يموج بالشر وسمعتها التي حرصت أن تخفيها عنه بدأت تفتضح، سمع إشاعات كثيرة عن عملها بالدجل والشعوذة ولكنه كان لا يصدق، كان يقول لمن ينقل له أخبارها سرا:

-مستحيل إننا نعيش كزوجين متحابين، أنا أعرفها جيداً، و لكنه تعلم أن يراقبها جيداً طيلة العام الماضي، وعرف عن شرورها ما جعل شعره يشيب، (ثريا) ستموت الليلة،ثريا تستعد للإسترخاء في حوض الإستحمام الذي جهزه لها وقطعة الثلج ستذوب خلال خمس دقائق وستنزلق ماكينة الحلاقة الكهربية لتسقط داخل مياه حوض الإستحمام؛ لتتعلق كالمشنوق من سلكها الذي ثبته بمنفذ الكهرباء؛ ستكون أول جريمة كاملة في التاريخ، وستؤيد قضية موتها صعقاً في حوض الإستحمام قضاءً وقدراً، (ثريا) تخطر في دلال مثير وفتحة صدر الروب يظهر منها بوضوح تاتو الفراشة الحمراء - الذي كان يعشقه - الذي يزين صدرها، ترى نظرته إلى فتحة الروب، فتبتسم إبتسامة لم يفهمها وهي تميل على أذنه هامسة: لن أتأخر، ستجد على المائدة طبق شوربة العدس الأصفر الذي تعشقه، لقد تفننت في صنعه تلك المرة ولن تصدق مدى لذته، تناوله بالهناء والشفاء.

البناية الفاخرة ذات الطوابق الأثني عشر وعزبة (المريوطية) ومعرض السيارات سيكونون كلهم ملكه الليلة بعدما ستحترق اللعينة في حوض إستحمامها...

إسترخت في حوض الإستحمام وهي تغلق عينيها وترجع برأسها إلى الخلف، متى بدأت الغوص داخل الأعماق المظلمة ل(صلاح) ؟

هل بدأ الأمر بزيارتها لصديقتها المقربة (شيرويت) وجلوسهما لتبادل النميمة مع عدة كؤوس من (الشمبانيا)؟ يومها طلبت من صديقتها أن تعيد ضبط مساحيق تجميلها أمام المرآة في غرفة نومها وفتحت درج (التسريحة) لتقتبس قدراً من (كريم الأساس)، وهناك لمحت ذلك القلم الأصفر اللامع، توقف بها الزمن لدقيقة و هي تحاول إستيعاب الموقف، رفعت القلم الذي إنعكست عليه الأضواء ليتألق بلون ذهبي رنان، إنه القلم الذهبي الذي أهدته لزوجها في عيد ميلاده

الماضي، ها هي الحروف الأولى من إسمه منقوشة بخط غائر جميل، ما الذي جاء بقلم زوجها إلى غرفة نوم صديقتها المفضلة؟

الكلب الذي جاءت به من الشوارع لتنتشله من الضياع و تتزوجه لأنها عشقته ضد رغبة كل عائلتها، الحقير يعتقد أنها ما تزال غافلة عن مغامراته مع الغواني، الأبله الذي لم ينتبه لبرنامج التجسس على المكالمات الذي نصبته على هاتفه المحمول الحديث الذي إشترته له والذي عرفت عن طريقه تفاصيل كل عهره وتهتكه والذي جرحها في العمق جرحاً يستحيل أن تبرأ منه، الإهانات التي وجهها لها جعلتها تكرهه وتخطط للتخلص منه، وسهرت طيلة الليلة السابقة أثناء وجوده بالعمل، تعد ذلك الطلسم الملعون الذي لم تستخدمه منذ سنوات، ولكن صلاح يستحق... وبحبر نجس سطرت أحرف الطلسم على الطبق الذي أعدت به وجبة صلاح المفضلة...قطع أفكارها سقوط جسم معدني في حوض الإستحمام بجوارها، وأطلقت صرخة متشنجة متألمة والشرر الكهربي يتناثر في كل صوب، وجسدها يتخشب في المياه التي تقافزت في جنون، وصلاح يقتحم الحمام زاحفاً، وقد تساقط لحم وجهه عن عظام جمجمته؛ ليصيح بصوت مختنق : ماذا وضعتي لي بالطعام يا لعينة؟! قالها لتسقط رأسه كالحجر مرتطمة ببورسلين أرضية الحمام الفاخر.

شيء للّه يا حسين

صوت الست يخرج مشروخاً مشوشاً من سماعة الراديو العتيق المربوط بحبل من الليف إلى جانب العربة...

الليل و سماه و نجومه و قمره...قمره و سهره ...

وسوطه المجدول الأسود يشق الهواء بصوت كالصفير قبل أن يلهب ظهر الحمار الضامر الذي يجر العربة المتناثر عليها بلا نظام كمية غير قليلة من الخردة و القمامة، يده تشد اللجام بإحتراف ليجبر الحمار التعس على الوقوف قبل أن ينزل عن عربته؛ ليدوس بغير إكتراث سبخة طينية بصندله الممزق، الذي تبرز منه أصابع يغلفها طبقة كثيفة من السواد ويبدأ التعامل المعتاد مع كوم القمامة الضخم.

أكوام الغلة تتألق تحت شمس الظهيرة القاسية فتبهر عينيه و(سيد) ناظر الزراعة يرمقه بعينيّ صقر مترقباً اللحظة التي يحاول فيها إلتقاط أنفاسه، أو الإختلاء ببقايا سيجارة الصباح خلوة غير شرعية حتى يصرخ فيه صرخته العنترية:

-هم يا ولة، إحنا هنا مش عاملين مشروع تسمين حلاليف، إعمل بلقمتك يا حزين.

فيخفي عقب السيجارة في جيب سرواله ليقف أمام (حمدين) المناول الذي يملأ له مقطفه بالغلة حتى حافته، ويعينه على رفعه إلى كتفه القوية ليتحرك حافي القدمين إلى وابور الطحين الذي يهدر وينفث الدخان كالشياطين...

وإنت وأنا .. يا حبيبي أنا .. يا حياتي أنا

العمارة دي كنز، القمامة اللي بتخرج منها مش بلاقيها في أي حتة تانية، وبدأ في جمع البلاستيك المكسور والزجاجات البلاستيكية الفارغة في جوال عملاق مثبت فوق عربته، ليبدأ بعدها في جمع ما تيسر من الورق والكرتون في جوال أخر والزجاج في جوال ثالث

لازم تشد حيلك يا (أبو إسماعيل)، لسة في خمس أكوام لازم تخلص عليها قبل ما يجوا المجحومين بتوع عربيات البلدية يحملوهم، ولازم نسلم المحصول بتاع النهاردة ل(مغاوري) ونتلايم ع القرشين، بقالنا أسبوع مبعتناش فلوس لأم العيال ف البلد

كلنا.. كلنا.. في الحب سوا

نسمات المساء المشبعة برائحة زهر البرتقال تهب على الجالسين على المقاعد الخشبية التي يكسوها القش المجدول خارج مقهى(عتوقة) ومياه المصرف القبلي تعكس ضوء بدر التمام وصراصير الحقل والضفادع بدأت في عرضها الموسيقي مبكراً تلك الليلة...

دخان النارجيلة منعش للحواس، طارد للبلغم و(عتوقة) يومأ برأسه مبتسماً دليلاً على كرم الضيافة، لعنة الله عليك وعلى المعسل المغشوش بنشارة الخشب وروث البغال، مد قدميه أمامه محركاً أصابعهما شاعراً بنشوة الدماء، وهي تتدفق فيهما بعد شقاء يوم طويل.

(بدور) و(إسماعيل) معرفش جابوا كاوتش العربية القديم ده منين ؟ واسماعيل العفريت عرف يطلع على الجميزة، وربط الحبل في أكبر غصن وعرفوا يعملوا بالكاوتش والحبل مرجيحة.

ضحكتهم تملأ علينا الدار، أنسى معهم تعب وذل طيلة النهار ومهنة الشيال ولا (الفواعلي) ولا (التملي) تلك المهن التي لا أجيد غيرها، تلك

المهن شحيحة الرزق مهلكة البدن والبيت اللي فاتح بقه وميكفيهوش يوميتي الضئيلة...

والهوى آه منه الهوى آه منه الهوى...

مخازن(مغاوري) تقع بين صف المنازل الشاحبة الطلاء الكالحة التفاصيل الموازية لخط السكة الحديد في تعد صارخ على هيبة الدولة وعلى حرم السكة الحديد، عدة باكيات تم تشيدها بالطوب الأبيض وامتد سقف من الصاج الصدئ عليها لحماية مخازن الخردة من المطر.

يخرب بيت الريحة يا (مغاوري)، هو أنت مبتدخلش حمام يا وحل البرك، (مغاوري) الفواعلي بقى صاحب مخازن، وبيمد إيده في محفظته الضخمة التي تصلح كفناً له - إن شاء الله - ليخرج من بين رزم أوراق العملة المكدسة ثلاثين جنيها لزجة الملمس، فأودعتها جيب سروالي وعيني لا تفارق المحفظة.

-إنت مقلبتش في البضاعة يا معلم (مغاوري)، أنا جايب شغل كويس وكنت عامل حسابي على خمسينااية....

صوتاً حلقياً غليظاً منفراً خرج من حنجرة (مغاوري) ليرتجف له فأر رمادي عملاق تواري بين تلال الأجولة...

-خمسيناية، ما تيجي تشتغل بدالي أحسن يا روح أمك.

ونقول للشمس .. تعالي تعالي .. بعد سنة مش قبل سنة

(فايز) عاد لتوه من مصر، (فايز) يطلب من (بندق) القهوجي أن ينظف له مقعده قبل أن يجلس...

ينضفلك الكرسي يا بن (سكسكة) بنت الكلاف، يا لي كانوا بينضفوا الكرسي بعد ما تقوم بجلخك و طينك، سبحانه!

بس لو لك عند(فايز) حاجة نقول له يا سيدي...

-إزيك يا (فايز) ، و حشتنا يا راجل، إيه (مصر) ندهتك خلاص؟!

يقوم(فايز) ليصافحه بطرف أصابعه، وهو يقول في ود زائف مصطنع

-(أبو إسماعيل) ، إزيك و إزي عيالك ؟

-كنت عاوزك في طلب كده، و(عتوقة) قالي إن (فايز) حيخدمك.

-إنت تؤمر يا (أبو إسماعيل)

-عاوزك تشغلني ف مصر ، و اللي يجاور الحسين ما ينضام...

-شئ لله يا حسين.

-والله يا أما أنا تعبت والرزق هنا بقى شحيح وطلبات العيال بتزيد والصحة بقت مش زي الأول، كل اللي راحوا مصر أتنصفوا، عاوزين نسكن في بيت بجد و (إسماعيل) لازم يلاقي كهربا يذاكر عليها، لمبة الجاز حتلحس عنيه، عنيكي يا أما مش باين بياضها من سوادها، داء المية البيضا بيزيد يوم بعد يوم، حتى البت (بدور) بقت بتخاف وتجري بعيد لما نقول لها سلمي على ستك،(زينب) لطمت لما عرفت إني نازل (مصر) ولمت عليا إخواتها و(فرج) قعد يكلمني يجي ساعة و يقنعني إن رزق هنا زي رزق هناك.

إزاي يا حبيبي إزاي .. أوصفلك يا حبيبي إزاي

(فايز) صبغ شعره، مفيش ولا شعرة بيضة ف سوالفه، ولما بيضحك بتبان السنة الدهب اللي مركبها وبتلمع زي ما كان بيلمع خاتم (زينب) قبل ما تبيعه.

-حتشتغل ف مصر يا (أبو إسماعيل) زي ما أنت عاوز...

-يا فرج الله، يعني في شغل تحت إيدك.

-بص، انت حتشتغل أحلى وأسهل شغلانة، حنعمل من التراب - اسم الله على مقامك - دهب، حتشتغل (فريز)

خدتني بالحب ف غمضة عين ..وريتني حلاوة الأيام فين...

الحمار بياكل كسب كأنه بياكل في آخر زاده ،كل ...كل

بطاريات الراديو تضعف يوماً وراء يوم، وآثار عضات أسنانه ترصعها من كل جانب محاولة منه لمنحها عمراً فوق عمرها، لازم أجيب بطاريات جديدة.

(فايز) الكلب باعني زي العبد ل(مغاوي) اللي قرب يطلع بالعمارة التانية، آكل قوت الغلابة...

حنعمل من التراب - إسم الله على مقامك – دهب.

راكية النار وجوزة مصنوعة من برطمان قديم والمعسل لحد ما دماغي تتقل وأنام ع العربية زي الحيوانات.

(حمدان) كان يقف طويلاً عريضاً يشمر أكمام جلبابه عن ذراعين مشعرتين ويتناول عصاته الضخمة المزينة بالسيور الجلدية والتي حرص على نقعها أياما طويلة في الزيت...

والفارس ينزل ف الميدان

ولكني لست بالخصم السهل والتحطيب لعبة كان أبي يحرص على تعليمي كل فنونها، قمت بهز عصاتي هزتين وتردد صوت كالرعد مع إصطدام العصاوين، ويستمر السجال حتى إنتهاء السامر بهزيمة(حمدان).

تحسست العصا التي لم تفارقني منذ دهور تحسستها لأستمد منها الأمان، ولأقضي على ما تبقى داخلي من تردد وخوف، كنت أعرف أنني سأحتاجها في يوم ما...

كلمة الحب اللي بيها... تملك الدنيا و ما فيها

كان الحمار يعترض بنهيق متقطع يعبر به عن خرقي لإتفاقي غير المكتوب معه؛ بأن الواحدة مساءً هي ساعة نومه قبل رحلة الشقاء المكوكية اليومية. وأكتفيت بضربتين بالسوط ليكف عن النحيب...

مخازن (مغاوري) تلوح بالأفق متسربلة بهالة من الضباب والقبح والرهبة...

وال(شومة) بقبضتي... وصورة رزم الفلوس في محفظة (مغاوري) لا تفارقني...

يفتح الباب بعينين يغلفهما النعاس ويلمحني فيسب ويلمح شومتي فتتسع عيناه في ذعر لآخر مرة...

وضع (عتوقة) صينية القهوة بصوت مرتفع على المنضدة أمامي وهو يقول بلزوجة: قهوة السعد والهنا للمعلم (أبو إسماعيل)، رمقته بنظرة ميتة وأنا أبعد ذبابة متطفلة تحاول إقتناص ذرتي سكر من السكرية القذرة أنفث نفسين من السيجارة الأجنبية.

-مش ده الواد (أبو إسماعيل) اللي كانوا بيشيلوا القشف من على جتته بمقشطة ؟

-عقبال أملتك، هي سنتين قضاهم ف مصر ونقل أهل بيته لبيت بالطوب الأحمر و مبيجيش كل جمعة إلا بجلباب جديد ، أصل مصر كلها فرص ، مفيش حد نزلها إلا ما إتنصف.

-شئ لله يا حسين...

يلا نعيش ف عيون الليل و نقول للشمس

تعالي .. تعالي...

مفيستوفليس

إن من يلهو بالنار عليه أن يكون مستعداً لأنه قد يحترق بها يوماً ما.

وهل كان ما فعلته مجرد لعب بالنار ؟

لقد دخلت في قلبها مباشرة ولم أكتف باللهو حول محيطها فقط.

تسألني:

-هل حققت الارباح التي تمنيتها ؟

أقول لك بكل أمانة إنني جنيت من الأرباح ما جعلني أغنى وأشهر موسيقار في العالم كله، أنا (رشدي الديناري). هل حضرت لي من قبل أحد حفلاتي؟

هل إضطررت إلى شراء ربطة عنق جديدة؟ لأنك إكتشفت إن ما تمتلكه قد بطلت موضته، و لن يسمحوا لك بدخول الأوبرا إلا بالملابس الرسمية. هل رأيت مقدار الإحتفاء العالمي بحفلتي؟

لقد أقمت حفلات في أكبر و أهم قاعات موسيقى في العالم، في قاعة (ألبرت الملكية) بلندن وفي قاعة (بالو) في برشلونة وقصر (جارنيه) في باريس وغيرها وغيرها .

-كيف بدأت حياتي ؟

لقد بدأتها كطالب حديث التخرج من معهد الموسيقى العربية واستطعت الحصول على وظيفة عازف كمان في إحدى فرق الأوبرا، كنت عازفاً جيداً وتنبأ لي المايسترو (كرم شوشة) بمستقبل واعد.

بالنسبة لمثلي الأعلى، إسمح لي بالقول إنك صحفي محترم وقد قمت بإعداد أسئلتك جيداً، وسأخبرك بالذي أخفيته عن العالم كله، منذ الصغير وأنا متيم بالقراءة وبحكم تخصصي قرأت الكثير عن تاريخ الموسيقيين والعازفين في العالم كله، وهنا ظهر أمامي إسم الموسيقار العبقري (جوسيبي تارتيني)، الذي عاش في القرن الثامن عشر وتحديداً من (١٦٩٢ - ١٧٧٠) في مدينة (بيران) بشبه جزيرة (أستريا) وقد كرموه بإقامة تمثال له بوسط المدينة، (تارتيني) قام بتأليف ما يقرب من ١٤٠ سوناتا للكمان، لم أصدق نفسي وأنا أستمع إلى إبداعاته، فهذا الرجل سجل روح الكون وأصوات الطيور وسر الخلق ذاته داخل نوتاته الموسيقية، وسافرت إلى (كرواتيا) خصيصاً لرؤية مخطوطات النوتات الأصلية والحصول على نسخ منها. لقد إستطعت عزف كل إبداعاته ماعدا معزوفة واحدة تعد تحدياً مستحيلاً أمام أي عازف مهما بلغت درجة إجادته وإتقانه؛ وهي معزوفة (Devil's Trill) أو (هزة الشيطان) أو (التغريدة) كما يحب البعض أن يطلق عليها، فتلك المعزوفة تتطلب هزات من التوافقيات المزدوجة التي من المستحيل أن يعزفها عازف بمفرده، حتى إنه قد سرت خرافة تقول إن (تارتيني) يمتلك ستة أصابع في يده اليسرى مما جعل هذه الهزات أكثر يسراً في عزفها، و قد وضعت تلك المعزوفة نصب عيني، وأدركت إنني يجب أن أقهرها، وأجيد عزفها لأستطيع أن أكمل مسيرتي كعازف محترف، كنت وقتها قد تزوجت، وأنجبت ولدين الأول هو (حسام) في السابعة من العم، والأصغر (نور الدين) في الرابعة من العمر، وقتها سيطرت تلك المعزوفة على كياني بالكامل، زوجتي شعرت إنني أنفصل عن عالمها رويداً رويداً، وأختفي طيلة النهار في غرفتي أداعب أوتار الكمان، والنوتة مفتوحة أمامي على (التغريدة)، أترك الكمان يائساً لفترة، وأربت عليه في حنان فترة أخرى، و أركع لأتوسل إليه فترة ثالثة، زوجتي بدأت تتطلع إلي في خوف، و طلبت مني عدة مرات أن أستريح قليلاً، أو أطلب أجازة من الأوبرا لنسافر إلى مكان هادئ. كنت أتطلع إليها وإلى الأولاد بعينين زجاجتين، وأشعر بأنني غريب عن هذا العالم، أشعر إنني إنسان فاشل، ولا أستحق مهنتي فقد فشلت في عزف (التغريدة) رغم

شهور من المحاولات، حتى جاء ذلك اليوم الذي حطمت فيه الكمان على جدار غرفتي وصممت أن أقدم إستقالتي صباح الغد، إستغرقت في النوم وشاهدته ... شاباً غاية في الوسامة يرتدي حلة سوداء غاية في الأناقة، ويحمل في يسراه صندوق كمان جلدي فخم، جلس بجواري كصديق حميم وابتسم ليقول:

-هل ماتزال مهتماً بعزف (التغريدة) ؟

كنت أعرف إنني أحلم ولكن كل شيء بدا وقتها حقيقياً تماماً، لمعان الإطار المعدني لمنظار الشاب الأسود، رائحه عطره الدسمة الغير مألوفة، أظافر يديه المقصوصة بعناية فائقة.

إعتدلت في جلستي وقلت في لهفة:

-هل يمكن أن تساعدني لأعزفها كما فعلها (تارتيني) ؟

ضحك قائلاً:

-سأجعلك أفضل من (تارتيني)، لقد راقبتك ورأيت محاولاتك الدؤوبة للوصول، أنت رجل مميز وتستحق.

-ولكن هل ما كان يقوله وما كان يشاع عن (تارتيني) حقيقي؟ هل أن ...

قطعت عبارتي فضحك و هو يقول:

-الشيطان...سأدع الأمر لذكائك يمكنك أن تناديني (مفيستوفليس) ([1]) وأنا لا أظهر إلا للمتميزين من البشر، سأجعلك أشهر موسيقار في التاريخ كله، ولكن لكل شيء ثمن.

كنت أعرف ما قاله (تارتيني) عن الشيطان الذي ظهر به في الحلم و عزف على الكمان بطريقة أذهلته عن نفسه، ليستيقظ ويحاول

---

[1] مفيستوفليس هو إسم الشيطان الذي قابله (فاوست) في مسرحية (جيتة) الشهيرة

إسترجاع اللحن و يخرج للعالم ب (التغريدة) ([1]). و لهذا نظرت له في ثقة وتصميم وقلت:

-أنا مستعد لكل شيء، وسأنفذ كل ما تطلبه مني.

رفع صندوق الكمان وفتحه ليخرج لي كماناً مصنوعاً من خشب أسود لامع ذي أوتار فضية مصقولة عكست أضواء الغرفة، تناولته في لهفة وهو يقول :

-أنت الآن فارس من فرسان الساموراي أو راهب من رهبان التبت. لن ترى أبداً زوجتك أو أولادك إلى الأبد، وأعني بهذا أن العقد الذي سنبرمه سينفصم إذا خالفت هذا الشرط ولو بعد حين، وهناك الشرط الثاني، ستمجدني بصلاة سأعلمها لك كل إسبوع.

و عندما إستيقظت ورأيت هذا الوشم العجيب الذي يزين معصمي و رفعت ذلك الكمان الأسود الذي وجدته على الفراش بجواري، عرفت أن الأمر لم يكن مجرد حلم، لقد عبرت إلى الأرض التي مر بها (تارتيني)، رفعت الكمان الأسود إلى كتفي وبدأت أعزف السوناتا التي تمنيت طيلة عمري أن أعزفها، ووجدت أنني أتوغل في نغماتها برفق وشعرت بيميني تتحرك بإرادتها المستقلة، وبسرعة لم أتخيل إنني يمكن أن أصل إليها يوماً ما و كانت أصابع يدي اليسرى تداعب الأوتار بحرفية، وتمكن لتعتصر منها الألحان بقسوة، ولأول مرة تمكنت من عزف (هزة الشيطان) بنجاح، و عرفت أن اليوم هو آخر يوم سأرى فيه زوجتي و أولادي.

أرى إنك تضحك وتقول إنني أمزح، نعم يا صديقي، أنا أمزح بالطبع، أكتب هذا في مقالتك.

---

[1] **(**) ما ذكر هنا عن (تارتيني) حقيقي بالكامل و لم يجزموا بصحته**

لم يستغرق مني قراءة التحقيق الصحفي عن تكريم الأم المثالية هذا العام إلا دقائق معدودات. فقد كان غاية في السخف. يتحدثون فيه عن سيدة ما قامت بأشياء ما. ماذا يعرفون هم عن الأم المثالية؟

الأم المثالية التى فوجئت ذات يوم بإختفاء زوجها. ليتها إستيقظت و حاولت أن توقظه لتجد أنه قد أسلم الروح كأي زوج محترم. كانت ستملأ الدنيا صراخاً وتحتضن طفليها مرتدية السواد لتتبع جنازته وتعيش مخلصة لذكراه. ولكنه إختفى تبخر...

سألت عنه في مقر عمله بدار الأوبرا فقالوا لها: إنه قدم إستقالته. سألت عنه والده فوجدته أجهل منها بمكانه. الأم المثالية هي التي إستلمت ورقة طلاقها على يد محضر مع خطاب يتعهد فيه طليقها بإرسال شيك شهري يتكفل بمعيشتها هي و ولديها. يومها كنت إبن سبع سنوات رأيتها تمزق الخطاب والشيك الذي معه. رأيت تلك النظرة التي حفرتها الصدمة على وجهها الشاب فأصبحت رفيقتها الدائمة. قامت بتقديم أوراقها إلى مصنع الملابس الجاهزة التي كانت تعمل به قبل أن تتزوج. وقبلوها عندما تذكروا مهاراتها. ومر شهران لتقوم بشراء ماكينة حياكة كهربية. وصارت تنكب عليها ليلاً وتنام خمس ساعات فقط لتلحق بوردية المصنع. كثيراً ما كنت ألمحها تبكي وهي تطالع صفحات مجلة أو جريدة لتمزقها بغل وغضب. ومرتين جئت من مدرستي لأجدها تبدل قناة التلفزيون لكي تمنعني من رؤية شيء معين. وذات يوم قمت بجمع أشلاء المجلة ولصقها بشرائط لصق شفافة بصبر ورفق بمعاونة شقيقي الأصغر. الذي كان متحمساً للمغامرة التي نخوضها. وقلبت صفحاتها و وجدت تحقيقاً عن الموسيقار المصري العالمي (رشدي الديناري) الذي كان يبتسم للكاميرا في فخر. وقتها تجمدت أمام الصورة ليشير إليها شقيقي ويقول بلهجته الطفولية:

-بابا.... بابا يا (حسام)، أين هو ؟ لقد أوحشني كثيراً.

تمر السنوات والأم المثالية تكافح بشرف وتواصل تمزيق الشيكات التي كانت تصل لها كل شهر، حاولت عندما رأيت ضغط المصروفات علينا، وأنا في الصف الثالث الإعدادي أن أقنعها بقبول الشيك، لازلت أتألم من صفعتها التي عانقت وجنتي لتجعل أذني تضج بالصفير لتقول باكية :

-عندما أموت فقط يمكنك أن تقبل إحسانه، أغرقت الدموع عينيّ و إنحنيت لأقبل يدها، وعاهدتها وقتها إنني لن افتح هذا الموضوع مرة أخرى. وعندما نجحت في الثانوية العامة بمجموع كبير، طلبت منها أن أكتفي بهذا القدر من التعليم، رفضت وأصرت على أن أدخل كلية الهندسة كما تمنيت دوماً، وافقتها يومها بشرط أن أساعدها وأحمل جزءاً من حملها الثقيل، وبالفعل دبر لي صديق وظيفة نادل في مطعم غاية في الفخامة، وكنت أعمل في وردية مسائية. وأعود إلى المنزل لأواصل السهر للمذاكرة، وتعلمت كيف أنام مثلها خمس ساعات فقط يومياً.

وجاء ذلك اليوم الذي حملت فيه صحاف الطعام إلى مائدة ذلك الكهل الأنيق الذي يجلس وحيداً، وقد وضع حقيبة جلدية أنيقة تبدو كحقيبة كمان على مقعد بجواره، بدأت في وضع الأطباق وألقيت نحوه نظرة جانبية...

وسقط الطبق من يدي لأغرق حلته الثمينة بالمكرونة وفواكه البحر...

إعتذرت له وإبتعدت لأجلب له منشفة مبللة ليمسك رسغي ويقول في خفوت:

-حسام ...؟ أنت حسام ...

نظرت إلى عينيه الرماديتين لأقول في برود :

-من دون كل مطاعم المدينة لم يقع إختيارك إلا على هذا المطعم؟!

وجدته يتلفت حوله في ذعر ليقول:

-لم أكن أعرف أنك تعمل هنا...

قالها في ذعر ورفع عينيه في خوف ليخاطب اللاشيء ويردد ثانية:

-لم أكن أعرف إنه يعمل هنا...

قالها وإلتفت نحو المقعد الذي بجانبه لينتفض واقفاً ويصيح :

-أين حقيبة الكمان ؟

قالها وسقط أرضاً على ركبتيه منهاراً لينخرط في بكاء شديد بدا إنه لن ينقطع...

و الذي أدهشني إن رؤيته في هذه الحالة لم يؤثر في نفسي أدنى تأثير و لذلك، تركته و إبتعدت.

للإستماع إلي سوناتا الكمان (هزة الشيطان)

https://youtu.be/Zl9FTlKK1e0

سيكوميتري

كانت تعبر الطريق مرتدية منظارها الأسود الضخم بعد أن هبطت من سيارتها الفاخرة، لافتة الكوفي شوب الذي تتجه نحوه مضيئة تحمل حروفاً لاتينية مزخرفة، مزيج من أحاسيس مختلفة تموج بصدرها ندم و يأس و غضب و... صوت صرخة إحتكاك إطارات سيارة ما بالأسفلت قبل أن تصطدم بها تلك السيارة لترتفع عن الأرض مترين و تطير في الهواء قبل أن تسقط لتعانق الأسفلت...

دماء...

ألم رهيب...

طنين هادئ ذو إيقاع رتيب أحاط بهما، تطلب منه الأمر أن يتلفت حوله عدة مرات حتى عرف أنه صوت مرقاب القلب ممتزجاً بصوت أجهزة ضخ الأكسجين. كان يجلس متطلعاً إلى وجهها الملائكي الهادئ الذي زينته السنون بهداياها الإجبارية على هيئة تجاعيد رقيقة أحاطت بفمها وجانبي عينيها، شعر بسنوات عمره الخمسين تتضاعف وهو جالس بجانب فراشها يحتضن كفها الرقيقة الحرة، التي لا تخترقها إبرة التغذية بالمحاليل التي كانت تتدفق بمعدل منتظم إلى أوردتها في محاولات روتينية لإصلاح ما يمكن إصلاحه. كانت تتشبث بكفه كل عدة دقائق؛ وكأنها تتفادى الغرق في الماء، وهي علامة إقتراب النهاية التي يعرفها جيداً بحكم عمله كطبيب، تفتح عينيها في وهن فاتن فيمنع دموعه من السقوط ليبتسم قائلاً:

- حبيبتي عاملة إيه دلوقتي ؟

تتمسك بكفه أكثر وتشير إلى قناع الأكسجين، فتفقد قياساتها الحيوية المتدهورة ليرفع القناع...

كانت تحاول الإبتسام و تهمس بشيء ما...

قرب أذنه من شفتيها فسمعها تقول:

- سأفتقدك جداً.

خانته دموعه و هو يقول بشفتين مرتجفتين:

-ستكونين بخير حال ، إنها حادثة سيارة عادية وبسيطة و ......

تهمس ثانية:

-سامحني.

هنا سقطت كل أقنعته و هبط على ركبتيه بجوار فراشها لينكب على كفها تقبيلاً وهو يقول بصوت متهدج:

-أسامحك! يجب أن تسامحينني أنت، لقد كنت لي خير زوجة ولم أجد منك إلا ما يسر أي زوج، يجب أن تسامحينني أنت.

تهمس بصعوبة أكبر :

-سامحني ف ... أنا.....

و تشنج جسدها لحظة قبل أن ترتخي قبضتها حول كفه وسط بكائه و نشيجه...

***

شهقت في قوة وتمسكت بمقعدي قبل أن يضع (مجدي) كوباً من الماء المثلج أمامي فتناولت الكوب لأجرع منه جرعة جشعة ووضعت الخطاب الذي إبتل بعرقي...

رفعت بصري نحوه لأقول :

-لقد حاولت أن تعترف له، ولكن الله إسترد وديعته قبل أن تتحدث.

تطلع (مجدي) إلى الشيك الملقى على مكتبه ليقول:

-القانون صريح يا (حكيم) ، يجب أن يتسلم زوجها كل محتويات حقيبتها التي تحولت إلى (حرز) في قضية حادثة السير.

كنت أشعر بإرهاق لا أستطيع أن أصفه، وبداخلي جحيم من الأصوات؛ هي مزيج من أصوات إحتكاك عجلات سيارة بالأسفلت في جنون، وصوت إرتطام صلب السيارة المجرم باللحم البشري، وصوت بكاء و عويل جعلني أغلق عينيّ في ألم . ليقول في تعاطف:

-هل يؤلمك الأمر كل مرة ؟

قمت من مكاني مترنحاً وأشرت إلى الشيك والخطاب والفلاش ميموري وقلت:

-الرحمة تسبق القانون يا سيادة الرائد، لقد تلقت جزاءها في الدنيا وهي الآن برفقة ربها وهو الرحيم بعباده، دع ذكرى وفاتها نقية طاهرة، ولا توصمها بالعار أمام زوجها بعد أن سترها الله في الدنيا يجب أن تمزق الشيك والخطاب.

***

لقد كان يومي مزدحماً للغاية فقد بدأ بإتصال من الرائد (مجدي) يخبرني بعنوان حادثة جديدة، فركبت سيارتي إلى العنوان الذي أخبرني به وهبطت لأرى تلك الجثة التي يرسمون حولها تلك الخطوط التي تحدد مكانها على الأرض، كانت لشاب وسيم أنيق الملابس وقد لوثت قميصه السماوي بقعتان دمويتان في موضعي الصدر والبطن، كان مفتوح العينين، هادئ الملامح وكأنه يتأمل السماء المظلمة بما يزينها من نجوم في إستمتاع.

وقفت خارج محيط الشرائط الصفراء التي أحاطوا فيها مسرح الجريمة، قبل أن ينتبه (مجدي) إلى وجودي، ويأمر بالسماح لي بالمرور ، بشرتي الشاحبة ورأسي الأصلع تماماً وملابسي السوداء بالكامل لم تلفت الأنظار إلي؛ لإنهم قد إعتادوا وجودي. أشار إلى الجثة وتلك المحفظة الجلدية الملقاة أرضاً بجوار الجثة، وقد زحفت دائرة الدم أسفلها، فتلوثت بطبقة من الأحمر القاني، تناولت قفازاً مطاطياً من أحد رجال المعمل الجنائي، وانحنيت نحو المحفظة وأحطتها بكفي اليمنى في حنو ليبدأ التدفق.

***

إسمي (حكيم) و ليس لدي أية تطلعات في تلك الحياة، وكل ما يهمني هو أن يتركوني وشأني ، إنهم دوماً يسعون نحو المعرفة والمعرفة مؤلمة كالجحيم، أنا أجيد فناً نادراً من فنون الإدراك الفائق للحواس التي يطلقون عليها إختصاراً(ESP) ، لا مجال للدجل هنا أو فتح ما يسمى ب(المندل) وإستدعاء عُمار المكان، أنا أجيد فن (السيكوميتري) الذي يعني القياس النفسي، بإختصار يمكنني بمجرد أن أمسك بساعة معصمك أن أتحدث مع ذراتها وأتشرب الطاقة النفسية التي تركتها ممتزجة بأجزائها لأتواصل معك وأعرف كل شيء عنك، بداية من ميولك وتوجهاتك، إنتهاءً بعلاقاتك النسائية، لقد قرأت عن الأمر كثيراً وعرفت إنني لست فريداً من نوعي، فسجلات المباحث الفيدرالية تسجل تلك القضايا التي تعاون فيها (بيتر هوركوس) معهم في حلها إعتماداً على موهبته في (السيكوميتري)، أنا الآن في موقع حادث بلا شهود عيان، لص ما أطلق طلقتين على صاحب المحفظة وتركها ليسرع بالفرار، أنا الآن أحتضن المحفظة بأصابعي لأستمع إلى القصة من وجهة نظرها، و بعبارة أخرى، أنا أقوم حرفياً بإستجواب آخر شاهد عيان قد يجيء في ذهن القاتل، أستجوب محفظة نقود جلدية،

رائحة الجلد ممزوجة برائحة الدم، ورائحة أخرى جعلتني أجفل وأشمئز، رائحة الخيانة والخسة. صديقنا كان في طريقه إلى (كوفي شوب) شهير ليلتقي بعشيقته، عاش يستغل وسامته في الإيقاع بالمتزوجات وتلبية نزواتهن وإبتزازهن، عبث لمدة سنة مع زوجة أربعينية متزوجة من جراح شهير، وعندما شعرت بعارها والبحر الدنس الذي غاصت فيه إلى العنق، بدأت تحاول الإنسحاب ولكن الوغد كان قد دس كاميرا في غرفة نومه وسجل بها كل لقاءاتهما النجسة وطلب منها مائة ألف جنيه؛ و إلا سوف يرسل كل تلك الأفلام إلى زوجها ومعها خطاب بخطها قد أرسلته إليه يوماً، ملمس المحفظة لزج خبيث فقد حولتها طاقة ذلك النذل إلى مستنقع ولا زالت تهمس لي بأسرارها، كان في طريقه إلى الموعد المنتظر بعدما أبلغته بأنها ستسلمه شيكاً بالمبلغ، وعندما مر من هنا وجد فوهة مسدس ضخم في وجهه...

-ساعتك وهاتفك المحمول ومحفظتك.

لم يصدق أنه يتعرض في هذا التوقيت لحادث سطو مسلح، رأى الجنون يسكن نظرات صاحب المسدس، كان محتقن الوجه يتحدث بلهجة غير طبيعية تدل على تعاطيه لمخدر ما ، رفع كفه نحوه قائلاً :

-سأسلمك كل شيء، ها هي الساعة والهاتف المحمول، وفتح المحفظة ليخرج عدة ورقات مالية من الفئات الكبيرة ليقول:

-هذه هي كل محتويات المحفظة ، خذها ودعني أرحل في سلام.

هنا نجد أنه كان يخفي الفلاش ميموري والخطاب داخل المحفظة و لذلك كان حريصاً أن لا يمسها اللص، الذي بدأ يشك بدوره في أن المحفظة تخفي ما هو أثمن من النقود، ولهذا هجم عليه و دار صراع قصير كانت نتيجته ما ترونه أمامكم، وبعدما أرداه بطلقتين فتش

المحفظة، ولم يدرك أهمية قطعة البلاستيك السوداء والخطاب اللذين يسكنان أحد جيوبها؛ فألقاها أرضاً وهرب. شهقت في قوة و تراجعت خطوتين للوراء، فأسرع أحد أمناء الشرطة ليمسك بي قبل أن أسقط أرضاً، رأيت القلق الممزوج بالفضول على وجه (مجدي) الذي ساعدني على الجلوس على مقعد ظهر من مكان ما و قال :

-هل رأيت وجه القاتل بوضوح ؟ هل يمكن أن تصفه بدقة لرسام الشرطة ؟

ربت كتفه و قلت في خفوت:

-كان يستحق مصيره الأسود فلقد رأيت ما جعلني أتمنى أن يحترق حياً، طلقتان رحيمتان هي ميتة لا تليق بشيطان مثله.

نظرة حكومية صارمة في عيني صديقي الوحيد و هو يقول :

-و ماذا عن التي كان يقوم بإبتزازها ؟

فتحت المحفظة لأشير إلى الخطاب الذي سيتيح لي معرفة كل شيء عن تلك المسكينة.

عن الكاتب

شاركت في خمسة كتب نشر جماعي و لي روايتين إن شاء الله ستصدران في معرض الكتاب 2018 و هما الخصم الملعون و أوتار الكون في دار نشر شهرزاد و مشاركة في رواية الطلسم الملعون دار ملتقى المعرفة.

البريد الإلكترونيeslamsamir56@yahoo.com :

أكونت الفيس بوك

: https://www.facebook.com/eslam.m.samir

الفهرس